السمر

ذوو العيون الذهبية

قصص قصيره مترجمة

ترجمة : حسن الجوخ

تقديم : د. ماهر شفيق فريد

مراجعة : وائل البشير



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

الاهـــداء

الى روحى الشيخين الجليلين :

رفاعـــة رافـــع الطهطـــاوى

وعمـــى

فهمـــى الجـــوخ

.... اعـــزازا وتقـــديرا

حســـن

تقـــديم

د٠ ماهر شفيق فريد

من الظواهر المميزة لحياتنا الأدبية منذ الستينيات او نحو ذلك اتجاه عدد من خيرة كتابنا المبدعين الى المشاركة بنصيب فى حركة الترجمة . فرأينا من الشعراء والقاصين وكتاب المسرح والنقاد من يعمدون الى ترجمة نمـاذج مختارة من الأدب العالمى ، وفى ذلك ما فيه من اثراء لأدبنا المعاصر من ناحيـة ، ولتجربتهم الابداعية الخاصـة من ناحية اخرى . وها هو ذا قاص متميز هو حسن الجوخ ، صـاحب مجموعة « السيف .. والوردة » (١٩٨٨) ، يضم عقله ووجدانه وحساسيته الى هـذه الجهود السابقة فيترجم لنا تسعا من القصص الانجليزى يمتد عبر قرن ونصف قرن من الزمان ، اذ تحوى مجموعته القصصية الراهنـة اعمالا اقدمها لأوسكار وايلد (المولود فى ١٨٥٦) واحدثهـا لكتاب ولدوا فى هذا القرن (مثل جون وين وغيره) .

وبعض هذه القصص لكتاب أمريكيين ولكن غالبيتها لكتاب بريطانيين . فيها ما يندرج تحت باب القصة العلمية ، وما يندرج تحت باب القصة السيكولوجية . ولكنها تشترك جميعا فى تشويقها الانسانى العام ، وتعبيرها عن روح العصر ، والقائها أضواء كاشفة على قطاعات من حياة الانسان الغربى اليوم .

لقد تراكم ، عبر السنين ، فى اللغة العربية حصاد كبير عن فن القصة القصيرة نظرية وتطبيقا (*) وتراكم ، قبل ذلك ، حصاد أكبر من القصص المترجمة . وهذه المجموعة التى يطالعها القارىء اليوم اضافة جديدة ، من أغلب النواحى ، الى هذا

(★) انظر ، مثلا ، « فن القصة القصيرة » لرشاد رشدى « القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا » ليوسف الشارونى ، « نظرات فى القصة القصيرة » لحسين القبانى ، ولو ان هذا العمل الأخير ــ كما لا حاجة به الى أن أقول ــ ليس من قامة العملين السابقين . وانظر دراسات يحيى حقى ، وشكرى عياد ، وعباس خضر ، وسيد النساج ، والطاهر مكى ، وعبد الحميد ابراهيم ، وفؤاد دوارة ، وصبرى حافظ ، ويسرى العزب ، ومراد مبروك ، وربيع الصبروت ، والسعيد الورقى ، وعبد الرحمن أبو عوف وغيرهم . وانظر من المترجمات : « الصوت المنفرد : مقالات فى القصة القصيرة » لفرانك أوكونور من ترجمة محمود الربيعى ، « القصة القصيرة » لإيان رايد من ترجمة منى حسين مؤنس . وهناك عدد مجلة « فصول » عن « القصة القصيرة : اتجاهاتها وقضاياها » (يوليو ، أغسطس ، سبتمبر ١٩٨٢) ومن أهم محتوياته مقالة « القصة القصيرة : الطول والقصر » لمارى لويز برات من ترجمة محمود عياد ، و « خصائص الأقصوصة البنائية وجمالياتها » لصبرى حافظ ، فضلا عن كثير من المقالات المؤلفة والمترجمة فى مجلات « ابداع » و « القصة » وغيرهما .

التراث (ربما كانت قصة أوسكار وايلد « العملاق » — « العملاق الأناني » فى الأصل — هى القصة الوحيدة التى سبق ترجمتها الى العربية أكثر من مرة ، من بين قصص هذه المجموعة) . وقصة أوسكار وايلد أشبه بأمثولة رمزية ، من قبيل أغانى البراءة والخبرة التى نظمها الشاعر الانجليزى وليم بليك . ورغم أنها تبدو نشازا بعض الشىء بين قصص المجموعة من حيث انها لا تنتمى الى قرننا ، فانها تذكرة مفيدة بالتواصل الفنى بين ادب أواخر القرن التاسع عشر وأدب قرننا العشرين .

وعلى النقيض من « محترفى » الترجمة — بهاء أنيس ومختار السويفى وغيرهما — ممن تفتقر نقولهم الى الطلاوة والرواء ، وتتسم بالحرفية الجامدة ، تمتاز ترجمات حسن الجوخ بالأناقة والدقة فى آن واحد . فقصصه فى ثوبها العربى متعة لدى القراءة كما انها متعة حين تقرأ فى الأصل . ويتطلع المرء الى استمرار التقليد الذى نوهت به فى مطلع هذا التقديم — ترجمة الأدب العالمى بأقلام ادباء راسخى المكانة أو فى طريقهم الى الرسوخ — لأن الترجمة ، كما علمنا من قديم ، ليست مجرد نقل كلمة أو عبارة او فقرة الى لغة مغايرة وانما هى ، قبل ذلك ، تمثل لخبرة حياتية وفنية جديدة ، ومرآة حساسة تنطبع على صفحتها الزئبقية أضواء الأصل وظلاله ، وهو ما لا يتوافر الا لمن عانى خبرة الابداع ، وعرف كيف تأتى على الشاعر — والأديب بعامة — أوقات يكون فيها خلع ضرس أهون عليه من قول بيت من الشعر . والقصة القصيرة — باجماع النقاد أو ما يشبه الاجماع — أقرب الأجناس الأدبية الى القصيدة .

هذه القصص ، ـ ان شئت ـ قصائد تطاولت نثرا ، او هى على الأقل تحمل قدرا ليس بالقليل من ملامح الحساسية الشعرية . وفى هذا يكمن سر امتيازها الفنى وعمقها الفكرى وقدرتها على الوصول الى اعماق غائرة من ذكريات القارىء ومخاوفه وآماله .

الدقى ، اغسطس ١٩٩٣

د. ماهر شفيق فريد

قصص هـذه المجموعة

- **السمر ذوو العيون الذهبية**

للأديب الأمريكى : راى براد برى

- **غـريب فى الحفـل**
- **رسالة من راعى الخنازير**

قصتان للأديب الانجليزى : جون وين

- **عمـــة هـــلرى**

للأديب الانجليزى : سيريل هير

- **أسبوعان فيما وراء مستشفى بشوردتش**

للأديب الانجليزى : روبرت روبنس

● **الحـــلم**

للأديب الانجليزى : فرانك تيلسلى

● **الدميمـــان**

للـكاتبين الأمريـــكيين : وليـــام ج. لدرر
ويوجين بردك

● **حدث بالقرب من البحيرة**

للأديب الانجليزى : جون كولبير

● **العمــــلاق**

للأديب الأيرلندى : أوسكار وايلد

السمر ذوو العيون الذهبية

للأديب الأمريكى : راى براد برى

Dark They Were With Golden Eyes

Ray Bradbury

● **عن المؤلف :**

راى براد برى : ولـد فى الينـوى بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـام ١٩٢٠ م .. وتـزوج عـام ١٩٤٧ م .

الكثير من قصصه يعتمد على العلم وانعكاساته على مستقبل البشرية .. وقد نشرت قصصه الأولى بصحف ومجلات مختلفة ، وبعض هذه القصص اختير لجائزة « احسن القصص الأمريكية » أعوام : ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٢ .

وقد حملت كتبه للقراء مفاجآت عديدة .. ومن بين أحسن قصصه المشهورة : « التفاحة الذهبية من الشمس » عام ١٩٥٣ م ، و « فهرنيت ٤٥١ » عام ١٩٥٤ م .

وكتب ايضا مسرحية او مسرحيتين ...

بتأثير الرياح بدأ غلاف الصاروخ يبرد ، ومنه خطا رجل وامرأة وثلاثة أطفال • المسافرون الآخرون انطلقوا عبر ساحة كوكب المريخ ، تاركين الرجل وأسرته • أحس الرجل بالرياح تحرك شعر رأسه ، كانت زوجته أمامه ترتعش ، والأطفال ينظرون اليه فى تساؤل ، كان وجهه جامدا ، لا ينبىء عن شىء سألت زوجته : هل هناك شىء خطأ ؟ •

قال : دعونا نرجع الى الصاروخ ، ونعود ثانية الى **الأرض •• نعم انصتوا ، وعوا ما أقول •**

كان يمكن للرياح أن تهب فى أية لحظة ، ويمكن لهواء كوكب المريخ أن يسحب الأرض من تحت أقدامهم .. نظر الرجل نحو التلال العالية ، وأكوام التراب المريخية ، التى تقادمت بتأثير الزمن ، رأى المدن المريخية القديمة فقدت وماتت وسط الأعشاب مثل عظام الأطفال الهشة . قالت زوجته :

ـ لا تبتئس يا هارى .. لقد أصبح الوقت متأخرا للتفكير فى العودة ، قد قطعنا خمسة وستين مليونا من الأميال على الأقل .

كان الأطفال ذوى الشعور الصفراء يصرخون بسماء كوكب المريخ ، ولم يكن هناك أى رد سوى اندفاع الرياح من خلال الأعشاب الكثيفة .. التقط الرجل الحقائب بيدين باردتين :

ـ هيا بنا .

لقد كان رجلا يقف على حافة المجهول ، يشبه واحدا من البحارة ، لديه الاستعداد أن يخوض البحر ويغرق فيه .. اتجهوا نحو المدينة .. كانت أسماؤهم : هارى بيترنج وزوجته كورا .. والأطفال : تيم ، لورا ، وديفيد .. بنوا كوخا صغيرا أبيض اللون .. ثم تناولوا فطورا جيدا هناك ، ولكن الخوف

كان لايزال يلازمهم ، ويشـــاركهم فى مضاجعهم ، لقد ســيطر على كل حديث لهم ، وفرض نفسه على أمسياتهم ، بل كان معهم واشراقة كل صباح •• وعادة ما كان يقول هارى :

ــ نحن لا نتتمى الى هنا ، هــذا المكان ينتمى الى أهل المريخ ، دعونا نشترى تذاكر العودة •• من فضلك ياكورا ! •

راحت تهز رأسها قائلة : « يوما ما ستأتى فيه القنبلة الذرية على كل انسان على سطح الأرض •• حينما يحدث ذلك سنكون فى أمان هنا » •

علق على وجهة نظرها قائلا : « فى أمان ومجانين ! » •

قالت فى ثقة وطمأنينة : ولكن لا توجد أية قنــابل ذرية بالمريخ •

دقت الساعة معلنة : « وقت الاستيقاظ الساعة السابعة ، ولذا استيقظوا •• احساس ما يجعل الرجل كل صباح يتفحص كل شيء ، تتنامى لديه رغبــة جامحة فى ايجــاد خلل ما •• جرائد الصباح تأتى الى الصاروخ من الأرض بانتظــام ، لقد وصلت فى تمام السادسة ، فتحها وراح يقرأ ، وهو يتنــاول الافطار •• صاح مبتهجا :

ـ بعد عام آخر سيكون هناك مليون رجل على سطح المريخ •• مليون رجل من الأرض ! •• سنـــكون مدنا كبيرة هنا •• لقد قالوا : « اننا سنفشل » • وقالوا : « ربما لن يحبنا المريخيون ، » •• ولكن هل وجدنا احدا من سكان المريخ ؟ ! •• ولا واحد ! •• آه •• لقد وجــدنا مدنا فارغــة •• ألســت على حق ؟ •

هبت ريــاح شــديدة هزت المنزل •• وحينما هــدأت واح الســـيد بيترنج ينظــر الى الأولاد مستطلعــا •• قــال ديفيد :

ـ لا أعلم •• ربما يكون هناك بعض سكان المريخ ، ونحن لا نراهم •• أحيانا اعتقد أننى أسمعهم أثناء الليل ، أسمع الرياح والرمال والحصى تخبط بنافذتى •• الحق أقول لكم انى مرعوب •• اننى أرى هــذه المدن على قمم الجبال حيث يسكن المريخيون ! •• ولكن كان هــذا ــ فيمــا أظن ــ منذ مدة بعيدة ، أليس كذلك ؟ •• اعتقد اننى أرى أشياء بهذه المدن •• أشياء تتحرك حول المدن •• والذى اننى أتعجب من المريخيين ، هل يحبوننا ؟ •• ربما يفعلون شيئا ضدنا لأننا أتينا هنا •

قال السيد بيترنج ، وهو يسرح ببصره خارج النافذة :

ـ هراء .. لا غبار علينا ، نحن أناس طيبون .

شمل أولاده بنظرة ، ثم أردف :

ـ كل المدن المندثرة يوجد بها شيء غريب ، أشباح وذكريات ...

نظر الى التلال نظرة خاطفة وأكمل :

ـ ربما فى بعض الأحيان .. أنت يا ديفيد تنظر الى السلالم وتندهش .. ترى من يستخدمها ؟ .. كيف يبدو المريخيون حينما يتسلقون هذه السلالم ؟ .. عندئذ فقط ربما ترى بعض صور المريخيين ، وأنت تتعجب من رسم هذه الصور فى مخيلتك .

صمت برهة ، ثم أردف قائلا :

ـ وترى كيف يبدون ؟ .. أنت تتخيل أشياء .. أنت لم تصعد بعد الى هذه الخرائب ، ولم تر الدمار والخراب .. أليس كذلك ؟ .. لا يا ولدى .

فى تلك اللحظة نظر ديفيد الى أسفل .. الى حذائه .. ولما سكت قال الأب :

ـ ابتعد عنهم .. وأعطنى الخلاصة .

تردد ديفيد ، ثم قال :

ـ لكن شيئا ما سوف يحدث .

وبالفعل قد حدث شيء ما في تلك الظهيرة ، ركضت لورا عبر المدينة الصغيرة تبكى صارخة :

ـ أمى ! .. أبى ! .. الحرب ! .. الأرض ! .. الأخبار الموجزة المرسلة بالراديو توا ! .. القنابل الذرية أصابت نيويورك ! .. كل الصواريخ انفجرت ! .. لن يكون هناك مزيد من الصواريخ الى المريخ بعد اليوم .

لفظت الأم :

ـ آه .. هارى ! ..

ـ وأمسكت بذراعى زوجها وابنتها .. قال الوالد متلهفا فى تساؤل حاد :

ـ أأنت واثقة يا لورا ؟ ! .

قالت لورا :

ـ سنظل سجناء بالمريخ الى الأبد .. الى الأبد .

ـ ودمعت عيناها لفترة طويلة .. لم يكن هناك سوى صوت الرياح يتردد فى ذلك الوقت المتأخر من الظهيرة .

قال السيد بيترنج بشكل عفوى :

ـ نحن هنا وحدنا ! .

وراح يفكر فى سره : ألف منـا موجودون هنا ، ليست هناك طريقة للعودة .. لا طريقة . نز العرق من وجهه ويديه .. أراد أن يصفع لورا .. أراد أن يقول لها أنت كاذبة .. ستعود الصواريخ مرة أخرى . وبدلا من كل ذلك قال فى أدب :

ــ ستأتى الصواريخ يوما ما .

قالت لورا :

ــ ربما فى غضــون خمس سنوات ، ان بنـاء صاروخ يستغرق خمس سنوات .. ماذا ستفعل يا والدى ؟ .. ماذا ستفعل ؟ ! .

قال فى برود مصطنع :

ــ نقوم بعملنا طبعا ، نزرع المحاصيل ونستمر حتى تنتهى الحرب ، وعندئذ ستأتى الصواريخ .

وعندما دخل الولدان قال فى وقار :

ــ أود أن أخبركما بشىء ما .

قالا فى صوت واحد :

ــ نحن نعرف .

راح السيد بيترنج يتجول فى الحديقة محـاولا التغلب على خوفه ، بينمـا كانت الصــواريخ تعبر الفضــاء وتصــل

باتنظام ، كانت لديه القدرة لتقبل فكرة وجوده بالمريخ ، ويطمئن نفسه دائما : غدا .. حينما أريد العودة الى الأرض يمكننى شراء تذكرة وأعود .. ولكن الصواريخ الآن صارت غير صالحة للاستعمال ، وذات معدن بال ! .. أهل الأرض هنا فوق كوكب المريخ تركوا للمجهول ، ليس لهم الا التراب الغريب ، والهواء الغريب ، وصيف المريخ الحار ، والشتاءات الباردة .. ماذا سيحدث له وللآخرين .. آه .. المريخ كان ينتظر مثل هذه الفرصة .. المريخ الآن يستطيع أن يبتلعهم ، ويقضى عليهم تماما .. ركع بركبتيه بين زهور الحديقة ، ثم أخذ حفنة فى يده الضعيفة ، وواصل حديثه — بينه وبين نفسه — : أعمل .. أعمل وأنس .. نظر الى أعلى ، الى الحديقة باتجاه جبال المريخ .. فكر فى أسمائها المريخية القديمة ، تلك التى تبعث على الفخر . رجال من الأرض أتوا الى سماء المريخ ، وهبطوا فوق سطحه ، ورأوا بحاره وأنهره ، فى حين بنى المريخيون المدن وأعطوها أسماءها ، تسلقوا الجبال وأسموها ، أبحروا فى البحار وأسموها .. الجبال والبحار تغيرت الآن تماما ، تحولت الى خراب ودمار .. رجال من الأرض منحوا هذه الوديان والجبال القديمة أسماء جديدة ، لكنهم شعروا الآن بالذنب .. أحس السيد بيترنج بالوحدة ، وهو فى حديقته تحت شمس المريخ الحارة ، ولكنه أنحنى

وزرع زهورا أرضية فى تربة المريخ •• ثم حدث نفسه قائلا : فكر فى أشياء مختلفة واحفظ عقلك بعيدا عن التفكير فى عالم الأرض •• أنس •• أنس القنابل الذرية ••

وعندما نز عرقه بكثرة خلع سترته ، وعلقها على الشجرة ، التى أتى بها من ماسينيوشس •• فكر فى الأسماء ثانية •• رجال من الأرض أعطوا هذه الأسماء : تلال فورد ، بحر روزفلت •• هذا ليس صحيحا •• الناس الذين وجدوا بأمريكا فى الأعوام الغابرة قد استخدموا الأسماء القديمـة ذاتها : وسكسونسن ، مينسوتا ، أوهو ، أوهاير •• كل هـذه كانت أسماء هندية عريقة ، ومعانى قديمة •• نظر بوحشية الى أعلى ، حيث الجبال، وأطرق مفكرا •• صاح : هل أنتم بأعلى هناك ؟ •• أنتم أيهـا المريخيون الميتون •• هل أنتم كلكم هناك ؟ •• حسنا •• نحن هنا بمفردنا ، لقد انفصلنا عن الأرض الآن •• انزلوا واطردونا خارج كوكبكم •• لو فعلتم ذلك فاننا لا نستطيع فعل أى شيء •

فى تلك اللحظـة هبت الرياح حاملة بعض الأزهار ، مد يديه البنيتين وبكى ، لمس الأزهار ، التقطها وقبلها •• لمسها ثانية •• ثم نادى على زوجته ، وحينما ظهرت فى النافذة جرى اليها : « كورا •• انظرى هذه الأزهار » •• لمستها •• قال :

— هل ترين ؟ ••

قـالت :

ـ انها مختلفة ، لقد تغيرت ، ليست كما كانت •• تبدو جيدة فى نظرى ••

عقب :

ليس ذلك بالشىء المهم ، هنـاك شىء خطـأ لا أستطيع تحديده ! •• مورقة أكثر من اللازم ربما ! •• أو ربما يكون اللون أو الرائحة ! •

وحينما دخل الأولاد ونظروا الى والدهم وجـدوه يدور حول أحواض الحديقة ، يقتلع نباتات •• ينظر اليها ، وينادى :

ـ كورا •• تعالى وانظرى ••

لمسوا النباتات •• تساءل فى لهفة :

ـ هل تبدو بحالة جيدة •• هل كما كانت من قبل •

بعد تردد قالت كورا :

ـ لا أعلم ••

قال فى ثقة :

ـ لقد تغيرت ، ربما تعلمين ذلك ، الرائحة ليست كمـا هى •• نبض قلبه بشدة وخاف ، نشب بأظافره فى الأرض ، وصرخ :

ـ كورا •• ماذا يحدث ؟ ! ، ما هذا ؟ ! ، يجب أن نبتعد عن هذا المكان •• جرى عبر الحديقـة ، كل شجرة أحست بلمسته ، وهو يجرى ••

صـاح :

ـ الورود •• الورود ! ، وبكى ••

قـال :

ـ كورا •• انظرى اليها ، الورود تحولت الى اللون الأخضر •• وقف ونظر الى الزهور فى تأن •

بعد مضى يومين جرى تيم الى داخل المنزل ، وقال :

ـ أمى •• تعالى وانظرى البقرة ••

بكى قـائلا :

ـ لقد رأيتها ، تعالى وانظرى •• حينما خرجوا ونظروا الى بقرتهم وجدوها وقد نما لها قرن ثالث ، والعشـب أمـام منزلهم تغير لونـه تماما •• تحول ببطء الى لون أرجـوانى هـادىء •

قـال بيترنج :

ـ يجبأن نبتعد عن هنـا ، لو أكلت من هذا الطعـام فسوف تتحولين أنت أيضـا ، لا أدرى الام سنتغير ؟ ! ••

لا يمكن أن أدع ذلك يحدث .. يجب أن نحرق هذا الطعام .. هذا هو الشيء الوحيد ، الذى يمكننا عمله .

ردت فى هدوء :

ــ انه ليس مسموما .

قال مندهشا :

ــ ولكنه كذلك ، انه مسمم بطريقــة غامضة .. يجب ألا نلمســه .

نظر فى قلق الى المنزل مواصلا كلامه :

ــ حتى المنزل تغير ، الشرفات حدث لها شيء ما ، الهواء لوحها بالسمرة ، والحواف بعدت عن القوالب ، المنزل لم يعد ينتمى لرجل من الأرض .

قالت فى شبه ثقة :

ــ آه .. انك تتخيل أشياء لا وجود لها .

ارتدى سترته :

ــ سأذهب الى المدينة لعمل يجب انجــازه ، وسأعود سريعــا .

بكت زوجته ، وقالت :

ـ انتظر .. هارى .. هارى .

ولكنه كان قد بعد ، ولم يسمع الا صدى الصوت .

فى المدينة كان الرجال جالسين عاقدين أيديهم على ركبهم ، ويتحدثون بهدوء مستقرين فوق درجات سلم المحل ، من شدة غضب السيد بيترنج ود لو أطلق عليهم مسدسا ، ولكنه صرخ :

ـ ماذا تفعلون أيها الحمقى ، قد سمعت الأخبار ، أصبحنا محاصرين على هـذا الكوكب ، وأنتم تجلسـون هنا ، ألستم مذعورين ؟ .. ألستهم خائفين ؟ ! ، ماذا ستفعلون ؟ .

قال الجميع فى صوت واحد :

ـ مرحبا هارى .

تسـاءل :

سمعتم الأخبار .. أليس كذلك ؟ .

ضجوا بالضحك .

ـ بالتأكيد يا هارى .. بالطبع سمعنا .

سـأل فى لهفة :

ـ ماذا ستفعلون ؟ .. كيف تستطيعون الهروب من هذا الكوكب ؟ .

قـالوا :

ـــ صحيح ! .. ماذا سنفعل ؟ ! .

قـال :

ـــ يمكننا أن نبنى صاروخا .

قالوا فى دهشة :

ـــ صاروخ ؟ ! .. هارى ؟ .. لمـاذا ؟ .. لنعود الى كل تلك المتاعب ؟ ! .

رد فى جسم :

ـــ لكن يجب أن تكون لديكم الرغبة للعودة .. هـل لاحظتم الأزهار ولون الحشائش ؟ .

قال أحـدهم :

ـــ نعم لاحظنا يا هارى .

ـــ ألا يخيفكم ذلك ؟ ! .

ـــ لا تتذكر أن ذلك قد أخافنا بصورة كبيرة يا هارى .

صرخ :

ـــ حمقى ..

ـــ آه يا هارى ، لا تتكلم هكذا .

أراد السيد بيترنج أن يبكى ، ولكنه قال :

ـ يجب أن تعملوا معى لو مكثنـا هنا ، سـوف تتغير كلية •• ألا تشمون الهواء ؟ •• هنـاك شىء ما فى الهواء ، يوجد شىء مريخى ، استمعوا الى ، وعوا قولى •

نظروا اليه صامتين ، وراحوا ينظرون لبعضـهم البعض ، نادى لأحدهم :

ـ سـام •

ـ نعم يا هارى •

ـ هل ستساعدنى فى بناء الصاروخ ؟ •

أجاب سـام :

ـ ان عندى معادن كثيرة يا هارى ، لو أردت أن تعمل بمصنعى فعلى الرحب والسعة ، سـوف أبيع لك هذه المعادن بخمسمائة دولار •• يجب أن تكون قادرا على بناء صـاروخ جيد ، لو عملت وحدك يمكنك انهاء ذلك فى حوالى ثلاثين عاما، وعندئذ يمكنك مغادرة هذا الكوكب •

ضج الجميع بالضحك •

قال السيد بيترنج فى أسى :

ـ لا تضحكوا •• لا تضحكوا •

نظر اليه سام فى هدوء •

قال السيد بيترنج :

ـ سام .. عيناك ! ..

توقف برهة ، ثم قال :

ـ كانتا ذات لون رصاصى .. أليس كذلك ؟ .

ـ حسنا ، لست متذكرا .. لمـاذا تسأل يا هارى ؟ .

ـ لأنهما الآن لونهما أصفر .

قال سام بغير اكتراث :

ـ وهو كذلك يا هارى .

ولكن السيد بيترنج أردف :

ـ وأيضا أطول وأنحف .

ـ ربما تكون مصيبا يا هارى .

ـ سام ! ، لم تكن عيناك ذات لون أصفر .

ـ هارى .. ما لون عينيك أنت ؟ .

قال السيد بيترنج باستغراب :

ـ عيناى ! .. لونهما أزرق طبعا .

قال سام ، والابتسامة تعلو شفتيه ، وهو يعطيـه مرآة صغيرة .

ـ هذا أنت يا هارى ، انظر نفسك .

تردد السيد بيترنج لحظة ، ثم رفع المرآة الى وجهه •• فى زرقة عينيه رأى قطعا صغيرة ، سقطت المرآة •

الآن قد كسرت مرآتى •

وبكى سام فى تصنع محبوك •

بدأ هارى بيترنج بناء الصاروخ المنشود بمصنع سام ، بينما وقف الرجال عند الباب المفتوح ، وأخذوا يتنكاتون بأصوات خافتة ، أحيانا كانوا يساعدونه فى حمل شىء ما ، ولكنهم عادة كانوا يكتفون بمشاهدته بعيونهم الذهبية •• وحينما أحضرت له زوجته طعام العشاء قال :

ــ « لن آكل هذا الطعام •• لن آكل شيئا من ثمار حديقتنا •• سآكل فقط من طعام الأرض •• ذلك الطعام المجمد » •

وقفت زوجته لحظات تشاهده ، وهو يعمل بجد ، ثم قالت :

ــ لا يمكنك بناء صاروخ يا هارى •

قال وهو يواصل العمل :

ــ لقد عملت بالمعادن منذ كنت فى العشرين ، حينما أبدأ بشكل موفق سوف يساعدنى الآخرون لم يكن ينظر اليها ، وهو يتكلم :

ـ يجب علينا أن نهرب من هذا الكوكب يا كورا .

كانت الأمسيات مليئة بالرياح ، التى تعبر الحقول الخالية، وهى تصفر ، والقمر يتألق على المدن الصغيرة البيضاء ، التى بلغ عمرها أثنى عشر ألف عام ، ومنزل آل بيترنج تعصف به مشاعر التغيير ، فى السرير كان السيد بيترنج يعرف أن عظامه قد تغيرت ، وأخـذت تذوب ، زوجتـه بشرتها راحت تزداد قتامة منذ أيام بتأثير الشـمس ، صارت سـمراء ذات عيون ذهبيـة .. الأطفال فى أسرتهم كانوا أشـبه بقطع المعـادن .. الرياح الحزينـة تصخب خلال الأشجار العتيقة والحشـائش الأرجوانيـة .. خوفه لم ينته ، يقيد قلبـه وحنجرته .. ان كورا صارت ذات عيون ذهبية الآن ! .. ارتفع نجم أخضر فى السـماء ، لقـد كان كوكبـا آخـر ، كوكبـه القـديم (الأرض) .. كلمـة غريبـة خرجت من بين شـفتى السـيد بيترنج « ايروت .. ايروت » .. ثم كرر « ايروت » ، كانت كلمة مريخية .. ولكنه لا يعرف أية كلمة من لغة أهل المريخ .. فى منتصف الليل تقريبـا اتصـل هاتفيا بشمبسون ، فشمبسون يعرف الكثير عن المـاضى :

ـ شمبسون .. ماذا تعنى كلمة « ايروت » ؟

ـ آه .. انها كلمـة مريخية لكوكبنـا « الأرض » ، ولكن لمـاذا ؟ ! .

قال السيد بيترنج :

ــ ليس هناك سبب خاص .

وأنزلقت سماعة الهاتف من بين يديه .

ــ ألو .. ألو .. ألو ! .

ترددت مرات ومرات ، وكأن صدى الصوت يأبى أن يتبدد في الفراغ .. جلس ونظر الى النجم الأخضر .. نادى صوت الهاتف :

ــ بيترنج .. هل أنت معى على الخط .. رد يا سيد بيترنج ....

امتلأت الأيام بحركة ورنين المعادن ، بدأ بناء اطار الصاروخ .. ثلاثة رجال فقط ساعدوه ، وتعاونوا معه بشكل ما .

بعد ساعة من العمل الشاق شعر بالاجهاد ، جلس يستريح قليلا .. سأله أحدهم :

ــ ألا تأكل يا هارى ؟ .

رد بغضب :

ــ نعم آكل من طعام الأرض .. من طعام الأرض .. أتفهم ؟

ــ لقد أصبحت نحيفا .

ـ لست كذلك •

ـ وأطـول

ـ كـذب

صرخ السيد يترنج فى وجه محدثه ، ثم صمت •

بعد ذلك بعدة أيام حدثته زوجته بجدية :

ـ هـارى •• لقد استنفدت كل الطعـام الموجود من الأرض ••

لم يبق شيء ، سوف اضطر أن أمنحك طعاما من ذلك الذى ينمو فى تربة المريخ •• جلس فجأة بكامل ثقله :

ـ فى تربة المريخ ! •• بالقرب من الورود الخضراء ! •

ـ يجب أن تأكل يا هارى •• أنت ضعفت جدا •

ـ نعـم •

وأخذ يأكل شيئا ما ، ثم قالت فى اشفاق :

ـ وخذ اليوم اجازة •• الأطفال يودون أن يسبحوا فى البحيرات ، من فضلك تعال معنا •

ـ « يجب ألا أضيع الوقت » •

بكى •

ألحت :

ـ تعال فقط لمدة ساعة واحدة .. أتوسل اليك ، سوف تشعر بتحسن بعد السباحة ، وربما تواصل عملك بشكل أفضل .

كانت الشمس حامية ، واليوم هادئا .. الشمس تحرق الأرض .. الأم والأطفال ، لاحظ بشرتهم ، لقد أصبحت أكثر سمرة ، رأى العيون الذهبية لزوجته وأولاده .. أعينهم لم تكن ذهبية من قبل ، لقد سيطر عليه الخوف تماما مرة ثانية ، كان خائفا لدرجة تمنعه من الخوف .. استلقى تحت أشعة الشمس الدافئة :

ـ كورا .. منذ متى أصبحت عيناك صفراوين ؟ .

ترددت لحظة ، ثم قالت :

ـ دائما على ما اعتقد .

ـ ألم تتغير من اللون البنى الى اللون الأصفر خلال الأشهر الثلاثة الماضية ؟ .

عضت على شفتها السفلى :

ـ لا .. لماذا تسأل ؟ .

قال فى هدوء :

ـ لا تبالى .. عيون الأولاد أيضا صارت صفراء .

ـ عيون الأطفال يتغير لونها حينما يكبرون .

علق ساخرا :

ـ ربما كنا أطفال أيضا ، أطفال هنا فوق سطح المريخ ، على كل هى فكرة مقبولة .

ضحك وقفز فى المياه .. فى القـاع كان كل شىء هادئا وآمنا .. شرد مفكرا :

ـ لو بقيت هنا فترة لأكل المـاء جسدى .. ربما يترك العظام ، ولا شىء غير ذلك .. ثم تنمو الطحالب فوق العظام .. تغيير .. تغيير .. تغيير بطء هادىء ! .

صعد ورأى (تيم) جالسا على ضفة البحيرة . وسرعان ما قال (تيم) : آتـا .

سأل الوالد ابنه :

ـ مـاذا ؟ !

إبتسم الولد ، وقال لوالده :

ـ أنت تعرف (آتـا) ، كلمة تعنى (الوالد) .

ـ أين تعلمت ذلك .

ـ لا أعلم .. فيما حولى آتـا ! .

ـ ماذا تريد ؟

تردد الصبى للحظة ، وقال :

ـ آنا أود لو غيرت اسمى .

ـ تغيره ! .

ـ نعم .

جاءت والدته ، وقد سمعت حديثهما ، سألت :

ـ ما عيب الاسم (تيم) ؟ انه اسم جميل .

نظرت الأم للمياه فرأتها مثل مرآة زجاجية .. قال الصبى :

ـ عندما تنادوننى (تيم) ، (تيم) لا أسمع ولا انتبه .. وأقول لنفسى : هذا ليس اسمى ، ان لى اسما جديدا ، وأود أن استخدمه .

ظل السيد بيترنج شاردا ، ونظره مركز على حافة البحيرة وقلبه يخفق بشدة .. تساءل :

ـ ما الاسم الجديد ؟ .

ـ لينل .. أليس هذا اسما جديدا ؟ .. أنا لينل .. هل يمكننى استخدام هذا الاسم لو سمحتم ؟

وضع السيد بيترنج راحة يده فوق رأسه ، وراح يفكر فى بناء الصاروخ ، ويفكر فى نفسه فى آن معا :

ــ لقد كان دائمـا وحيدا ، كان يعمل منفردا فى بنـاء الصاروخ ، وكان وحيدا وغريبا حتى بين أفراد أسرته .. أفاق على صوت زوجته :

ــ ولم لا ؟ .

ثم سمع نفسه يقول :

ــ نعم يمكنك استخدامه .

صاح الصبى فى سعادة :

ــ أنا لينـل ! .. وبكى .

لينـل جرى عبر الحقول ورقص طربا ، هتف فرحا :

لينـل .. لينـل .

نظر السيد بيترنج الى زوجته .. سأل :

ــ لمـاذا فعلنا ذلك ؟

ــ لا أعلم .. بدت فكرة جيدة .

وساروا خلال التلال ، انطلقوا عبر ممرات قديمة قريبـة من ينابيع قديمة ، كانت تلك الممرات مغطاة بالمياه الباردة أثناء

فترة الصيف كلها •• ان ذلك المـاء البارد يجعل الأقدام العارية ترتعش ، وصـلوا الى (فيلا) مريخية قديمة شاغرة قابعة على القمة ، تطل على منظر بديع من الوادى ، وكانت ذات ردهات مصنوعة من أحجار زرقاء ، وبها حمـام سباحة جميل ، يمكن أن ينعشهم فى هذا اليوم الصيفى الحار •• قالت كورا :

ــ المريخيون ليست لديهم مدن كبيرة كهذه ، يجب أن نسكن هنا ، بهذه الفيلا أثناء فترة الصيف •

قال السيد بيترنج بصوت آمر :

ــ تعالوا •• سنرجع الى المدينة يجب أن أعمل فى بنـاء الصـاروخ •

وبينما كان يعمل فى المساء تذكر (الفيلا) ذات الأحجار الزرقاء ، وبمرور الساعات بدا الصاروخ فى نظره أقل أهمية ••

ومع مرور الأيام والأسابيع صارت فكرة بناء الصاروخ نسيا منسيا •• الحماس القديم قد تلاشى ، ولكنـه كان يشعر بالرعب حينما يتذكر مصيره فوق سطح الكوكب المريخى •

وذات يوم حـار سمع السيد بيترنج الرجـال يلغطون ، قـالوا :

ـ لقد ذهب الجميع •

خرج السيد بيترنج وسأل :

ـ أين ؟ ! •

رأى سيارتين ممـــلوءتين بالأطفال ، وشاحنتين ممـــلوءتين بالأثـــاث •

ـ الى أعالى الجبال •• الى الفيلات ذات الجو اللطيف البارد •• هل ستأتى معنا يا هارى ؟ •

قال فى هدوء :

ـ يجب أن أعمل هنا •

ـ عمل ! •• عمل ؟ ! •• يمكنك انهاء الصـــاروخ فى الخريف حينما يكون الجو ألطف •

كانت أصواتهم كسلى فى ذلك الجو ذى الرطوبة المرتفعة ، ولكنه كرر أمامهم :

ـ يجب أن أعود للعمل

قالوا فى دهشة :

ـ الخـــريف ! •

كانوا يبدون ، وهم يتحدثون واثقين بوجهات نظرهم ، وبقليل من التفكير أدرك أنهم على حق .. قال فى نفسه :

ــ فعلا .. هنــاك متسع من الوقت للعمــل فى فصــل الخريف .. ولكن جزءا منه بكى فصاح :

ــ لا .. لا .

ولكنه تمتم :

ــ فى الخريف .. نعم ! .. سوف استأنف العمل ثانية فى فصل الخريف .

قال أحدهم فرحا :

ــ لقد حصلت على فيلا بالقرب من بحيرة تيرا .

ــ تقصد بحيرة روزفلت .. أليس كذلك ؟ .

ــ بحيرة تيرا ! .. انه الاسم المريخى القديم .

ــ ولكن على الخريطة ...

ــ أنس الخريطة .. انها بحيرة تيرا الآن .. لقد وجدت فيلا فى جبل بيلان .

قال السيد بيترنج .

ــ أنت تعنى جبل روكفلر .

قــال ســام :

ــ أنا أغنى جبل بيلان ٠

قال بيترنج للهواء الساخن زافرا :

ــ نعم ٠٠ نعم جبل بيلان ٠

الجميع ساعد فى تحميل الشاحنة فى ذلك اليوم فى فترة ما بعد الظهيرة الحارة : تيتل ، لينل ، ووير ، حملوا الأشــياء الصغيرة ٠٠ الأثاث ترك فى الكوخ الصغير الأبيض ٠٠ قــالت الأم :

ــ كان هذا الأثاث أكثر روعة فى بوسطن ، عموما يبدو جيدا هنا فى الكوخ ، ولكنــه لا يناسب الفيلا أبدا ، ســوف نستخدمه حينما نعود فى الخريف ٠

قال السيد بيترنج :

ــ سوف أكون كسولا فى الفيلا ٠

ســألوا ابنتهم :

ــ هل ستأخذين ملابس نيويورك معك ٠

احتارت البنت للحظة :

ـ لم أعد أريد هذه الآن .

أغلقوا باب الكوخ .. نظر الأب فى الشاحنة :

ـ لم نأخذ أشياء كثيرة .. أليس كذلك ..

صـــاح :

لقد أحضرنا أشـــياء كثيرة للمريخ ، ولكننـــا لم نأخـــذ الا القليل .

شغل السيد بيترنج محرك السيارة .. ونظر خلفـــه الى الكوخ الصغير للحظة طويلة ، ود لو اندفع اليه .. أراد أن يقول : (وداعا) .. أحس أنهم ذاهبون فى رحلة طويلة ، ظن أنهم قد لا يعودون الى حياتهم القديمـــة .. نعم يغادرونهـــا الآن ، وربما الى الأبد ! .

فى تلك اللحظة كان سام وعائلته يستقلون شاحنة أخرى .
نادى ســـام :

ـ أهلا هارى .. ها نحن ذاهبون .

وستون شاحنة أخرى كانت راحلة عبر الطريق القـــديم نفسه .. عندما تركوا المدينـــة بدت لهم مليئة بأتربة كثيفة .. ومياه البحيرة صارت زرقاء تحت أشعة الشمس ، وقد تحركت الرياح هادئة تداعب أفنان الأشجار القريبة .

قال السيد بيترنج :

ـ الى اللقاء يا مدينة ، وداعا ، وداعا

تصـابحت العـائلة الصغيرة .. لوحوا بأيديهم ، ولم ينظروا للخلف ثانيـة .. الصيف آلهب ميـاه البحيرة .. كانوا ذابلين .. لقد تحرك الصيف خـلال الحقول مثل شـعلة فى تلك المدينـة الخاليـة من ناس الأرض ، دهـان المنازل انطفأ ، واطار الصـاروخ المنشود بدأ قديما ، وأجزاء صغيرة منه بدأت تتساقط فى ذلك الخريف الهـادىء .. وقف السـيد بيترنج على المنحدر عند الفيـلا .. وها هو ذا صـار آكثر سمرة ، وصارت عيناه ذهبيتين .. راح ينظر الى الوادى فى تأن وتأمل.

قالت كورا :

ـ يجب أن نعود .. لقد حان الوقت .

قال السيد بيترنج :

ـ نعم ! .. ولكننا لن نذهب ، لم يعد هناك شيء الآن .

قـالت كورا :

ـ كتبك وملابسك الجميلة .

قال السيد بيترنج :

المدينـة خاليـة ، لن يعود أحـد .. لا يوجـد مبرر الآن لذلك .

راحت زوجته تمارس أشغال الابرة ، وأولاده يعزفون على الآلات القديمة •• أصوات ضحكاتهم تملأ أرجاء الفيلا الجميلة •• نظر السيد بيترنج الى المدينة القديمة البعيدة ، تلك التى تقبع بأسفل بالوادى :

ـ ناس الآرض بنوا مدينة غبية جدا •

ردت زوجته فى هدوء :

ـ انهم لا يعرفون طريقة أخرى •• أنا سعيدة بذهابهم •• انهم أناس قبيحون •

نظر الاثنان الى بعضهما ، فى دهشة •• ثم ضحكا فى مرح •• تساءل :

ـ أين ذهبوا ؟ •

نظر الى زوجته للحظة ، لقد صارت عيناها ذهبيتين مثل عينى ابنتهما •• نظرت اليه كان يبدو صغير السن مثل ابنهم الأكبر •• قالت مبتسمة :

ـ لا أعلم الى أين ذهبوا ؟ •

ـ سوف نعود الى المدينة العام القادم ، ربما •• أو العام الذى يليه ، أو الذى يلى ذلك •

الآن •• أحس بالدفء •• سأل :

ـ هل يمكننا أن نسبح ؟

أعطوا ظهورهم للوادى ، يدا فى يد ســارا صامتين عبر ذلك الممر المغطى بالمــاء الصافى ذى الخدر اللذيذ .

بعد حوالى خمس سنوات سقط صاروخ من الســماء ، وهبط فوق سطح الوادى .. قفز منه رجال أخذوا يهتفون :

ـ لقد كســبنا الحــرب على الأرض ! .. لقد جئنــا ننقذكم ! .. أين أنتم ؟ .. لكن مدينة أهل الأرض فى المريخ كانت صامتة ، الأكواخ .. الأشجار العتيقة ، والمسرح أيضا كان صامتا .. الأمريكيون وجدوا هيكل الصاروخ غير مكتمل، ويبدو قديمــا .. الرجال القــادمون بالصــاروخ بحثوا فى التلال .. القائد أقام مكتبه فى أحد المنازل القديمة .. أحد الضباط عــاد سريعا ليقدم تقريرا :

« المدينة خالية يا ســيدى ، ولكننا وجدنا بعض الحيــاة المريخية فى التلال ، أناس ذوو بشرة سمراء ، وعيون ذهبية .. لا يحبون الصراع أو النزاع .. يتعلمون اللغة الانجليزية بسرعة غريبة .. ولقد تحدثنا معهم قليلا .. اننا غير مضطرين لقتالهم ، وهم بطبيعتهم لا يرغمونتا على ذلك ... » .

قال القائد مندهشا :

ـ سمر ؟ ! .. كم عددهم ؟ .

ـ ستمائة أو ثمانمائه •• يسكنون فى هـذه الفيـلات القديمة بالتلال المرتفعة •• طوال القامات •• أقوياء ، ونساؤهم جميـلات •

ـ هل أخبروكم بماذا حدث لنـاس الأرض ؟ •• أين الذين بنوا هذه المدينة هنا ؟ ! •

ـ انهم لا يعلمون شيئا عن المدينة يا سيدى •

قال القائد ، وهو يقطب بين حاجبيه :

ـ هذا شيء غريب ! •• هل تعتقد أن المريخيين قتلوا أهل الأرض ؟ •

ـ انهم مسالمون جدا يا سـيدى •• ربما أحد الأوبئة قضى على هـذه المدينـة ربما •• أنا لا اعتقد اننا سنصـل الى الحقيقة •

نظر القائد حوله فى الغرفة ذات النوافذ المتربة •• نهض وبص من النافذة فرأى على البعد جبالا زرقاء ، ومياه بالبحيرات، وسمع صوت رياح خفيفة ، ارتعد للحظة •• ثم جلس ووضـع اصبعه على الخريطة المفرودة على المـائدة أمامه : أمامنا عمل كثير سننجزه •

وظل صوته هادئا ، فى حين كانت الشـمس تغرق خلف التلال الزرقاء •• قال القائد مستأنفا كلامه :

« يجب أن نقيم مدنا جديدة •• يجب أن نحدد الأماكن المناسبة والصحيحة للمناجم •• واذا كانت السجلات القديمة فقدت فيجب أن نعد سجلات جديدة وخرائط جديدة •• أسماء جديدة يجب أن تعطى للجبال •• ويجب أن نحدد أسماء للأنهار أيضا » •

الضابط ظل صامتا •• ولكن القائد واصل حديثه متسائلا:

ــ ما رأيك فى جبال لينكولن •• وبحيرات واشنطن •• أعطنى بعض الأسماء الأخرى •• يمكننا أن نسمى هذا المكان وادى اينشتين •• أليس كذلك ؟ •• وهناك •• هل تستمع لى جيدا ؟ •

سحب الضابط ناظريه بعيدا عن اللون الأزرق ، والضباب الرمادى المنتشر فوق التلال البعيدة •• وقال فى شبه ذهول :

ــ ماذا ؟ •• آه •• نعم يا سيدى •

غـريب فى الحفـل
رسالة من راعى الخنازير ..

للأديب الانجليزى : جون وين

A Stranger at the party

A Message From The Pig-Man

John Wain

● **عن المؤلف :**

جون وين : ولد عـام ١٩٢٥ م فى ستوك ــ أن ــ ترينت ستافورد شاير ، ودرس فى كليـة سان جون باكسفورد .

وقد ظل لفترة محاضرا جامعيا للأدب الانجليزى ولكنه ادرك عام ١٩٥٥ م ، أن التدريس كان يستنفد الكثير من طاقاته فى العمل ، ولذلك تفرغ تماما للابداع الأدبى .

وقد منحته اسـفاره ــ والتى كانت تستغرق وقت طويلا من العام ــ الكثير من الأفكار الجيدة .

وقد حاضر فى موضوعات أدبية كثيرة ، فضــلا عن موضــوعات أخرى ، وتم ذلك فى أماكن عديــدة مثل : موسكو ونيويورك وبومباى واســلو .

وهو يقســم وقته فى بلاده بين ستافورد شاير وشمال ويلز واكسفورد .

وتتضــمن مؤلفاته ثلاثة دواوين شــعرية .. وخمس روايات (أنجزها ما بين عامى ١٩٥٣ ـ ١٩٦٢) ومجموعتان قصصيتان ، وثلاثة أعمال نقدية بالاضافة الى سيرته الذاتية ...

غـريب فى الحفـل

فى هذه اللحظة يبدو من بين كل متاعبى وأسوءها عصب بوجهى ، لا يتوقف عن التقلص .. أظـل أحـدث نفسى : ان هـذا لا يهم .. لا أحد يلحظ أو يهتم ، فاللاجئون يفترض فيهم أنهم عصـبيون ومنهكون ، وهـذا ما يفسر محـاولاتهم المستمرة لاثبات أصالتهم ، هـذا رجل مسكين يعتبر كل ما مر به من ثورات ، ومعـارك فى الشـوارع ، ومحـاولات فاشلة للهرب ترغمـه بالفعل أن يلقى بكل شىء خلف ظهره ، فلا غرابة اذن أن يكون فى صـورة سيئة بائسة : « هل رأيت وجهه ،

وهـو يتقلص » •• أعتقـد انهم سيتحـدثون فى اشـفاق شـديد ، لذلك على ألا أكرههم ، بل يجب أن أكون ممتنـا ، لأنه فى اطار الحـدود البشرية المـألوفة طيبون ، الحقيقـة انهم يكنون لى مشاعر طيبة أصيلة ، فلهم حياتهم التى يحبونها ، وملابسهم التى يلبسونها ، ووجباتهم التى يتناولونها ، وأحباؤهم وأصدقاؤهم وأولادهم ، وأرصـدة المصارف •• ويبقى بعد ذلك حـوالى الواحـد من المليون من طاقاتهم حرا ، يشعرون بى بصـدق ، أعرف ذلك وأحترمهم •• فقط أود لو يكف هذا العصب عن التقلص ، مجرد رغبـة لن تتحقق ، ولكن ليست كليـة ، لأن المرء يشـعر بعجزه حينمـا يفقد السـيطرة على جسـده •• ان ذلك يجعلنى حقيقـة أشـعر بضعفى ، حتى لو كان لى منزل وأصـدقاء وبلد يعترف بى ، ومما يزيد الموقف حرجا الآن أن جسدى هو كل ما أملك •

ولكننى أقـول لنفسى : انك فى حفـل ، أين شخصيتك الاجتماعية ؟ ! ، هل ستظل واقفا طوال الليل بركن ممسـكا بكأس فارغ ؟ ، وأنت تقلص عضـلة فى خدك ، ابتسم ، تفحص نفسـك •• وأظهر أنك على اسـتعداد أن تكون ودودا •• أرأيت ؟ ، لقد نجحت ، ها هى ذى مضيفتك آتية باثنين لمقابلتك والتعرف عليك : رجل بدين غير مهنـدم ، وزوجته النحيفـة

الذكية ، أريدك أن تقابل .. أسماء ، وأسماء انجليزية تطرقع بثقل لحظة خروجها من الفم ، وتسقط على الأرض ، ويتخيلها المرء كقوالب طوب خشبية ملقـاة نسيها طفل .. كل الأسماء الانجليزية مثل : جون بلوب ... ، وزوجاتهم مثل : سوزان بلوزان ، وآن جرام .. وها هو ذا اسمى ينحدر من اللســان مثل طرقات سوط شجاع فى حلقة سيرك ، يبدو سخيفا لهؤلاء الناس ، وسخيفا حتى بالنسبة لى ، أشعر كأننى ممثل ، وقد اخترع لنفسه اسما خياليا .

بدأنا نتحدث : فهو كاتب ، وهذا لا يدهشنى ، لأننى دائما ما أقـدم الكتـاب ، حاليا يخدموننى بدلا من الدولة ، جمهورية الحروف قصة غير مؤذية ، ولكن هذه قضية أخرى .. أبدأ محادثة كل منطلقاتها تلقائية ، وكنا ندفع الحوار بيننا فى محاولة أن يشعر كلانا بالألفة ، الفارق الوحيد بيننا انه كان يدفع الحوار بيسر وسهولة ، بينما أدفعه بمجهود شاق ، ووجهى يتقلص بصورة أوضح من ذى قبل ، وأنا أرتب خواطرى لاختار الكلمـة المناسبة ، وأحيانا أعتقد أننى لن أتحكم أو أمتلك هذه اللغـة الملعونة ، والتى أعـدها مجموعة من المتعصبين لينفرد باستخدامها أهلها فحسب .

ندفع بالحوار من موضـوع لآخر ، لم يسـمع كلانا عن

الآخر .. لكنه يعلم أنى كنت شـاعرا مشهورا ببلدى ، لأن مضيفتنا قد أخبرته بذلك .. أسأله عن عمله الخـاص .. انه متواضــع خجول ، قصــة أو قصــتان ، وتصحيح جريــدة أسبوعية ، وبعض القصص المقروءة بالاذاعة ، فهو لا يختلف عن كثيرين .. وطوال الوقت لم تكف زوجته عن التحديق فى ، فتبدو كأنهــا جائعة ، كما لو أن زوجها لم يعطها ما يشبعها .. فيم تفكر ؟ ، أكانت تخمن أى نوع من الرجال أكون ؟ .

حديثى المتقطع ، وتوقفاتى المتغيرة والمتكررة وتقلصاتى .. ربما كانت تسأل نفسها اذا ما كنت طيب المذاق لتلتهمنى ، وأقرر انها تبدو مثل طائر ، بها بعض طيبة ، وملامح وجههــا تنبىء بذلك ، ولأكون منصفا أن بها قليل من السحر الرفيع للطائر .. وددت أن أقول للرجــل : ان زوجتــك تشبه طائرا .. تنظر لى كما لو كنت قطــا ، وهى طائر تدرب جيدا على افتراس القطط .. متعة عظيمــة أن تبدأ حديثــا خياليا ، أو شاردا ، أو حتى بقسوة الخروج ليفلت المرء من هذه اللعبة المرهقة ، ذات الأجزاء الحسابية الصارمة المملة ، لكن ـ طبعا ـ هــذا خارج الموضوع .. حتى لو بدأت على مثل هــذا المنوال سأكون موجهــا بنزوة مجنونة ، فان نقص مفرداتى قد توقفنى ملجما قبل أن أكون قد تفوهت بكلمتين .. وهــكذا استمر

سادرا فى تخيــلاتى ، كم لبثت فى هــذا البلد ؟ ، وما مراحل هروبى ؟ •• وما المساعدات التى حصلت عليها من المنظمــات الدوليــة ؟ ، وهــل يفهم هــذا الرجــل البدين ما فعــلوه بى ؟ •• ربما ، على أية حال هو ــ أيضا ــ يحيا بالكلمة ، وبالطبع سيكون له رؤية لمــا يكون عليه الأمر ، عندما تكون الكلمــة قد سحبت ، واللسان تمزق حتى اللغلوغ •• أمور تشتت الذهن بكل ما به من مدركــات ملتويــة وغاطســة وتموجات ، قد مسحت فجأة بخرقة متربة ، مثلما يكون الأمر مع ســبورة صغيرة لطفــل •• وشــعر الرجــل بالســأم ، فالحــديث أخــذ يجهــده بفعل حــركة الذهــاب والاياب الميكانيكية ، وذات الطبيعة المملة ، فبدأت عيناه تجوب جوانب الغرفة ، باحثــا عن مخرج فتحججت كى أتركهما ، الرجــل وزوجته ، التى تشبه الطائر ، لقد كانا طفلين طيبين ، وقد قاما بواجبهما ، وأعطيانى الفرصــة لممارسة انجليزيتى •

انجليزيتى ! •• لكن الانجليزية لن تكون لغتى •• اننى رجل عجوز •• يمكننى •• بل يجب أن أتعلم كيف أتعــامل معها ــ ولو الى حد ما ــ ولكنها ستظل دوما لغتهم ، وليست لغتى ، فالمرء لا تكون له الا لغة واحدة ، مثلما يكون له أم واحدة ، والآن أصرخ مطالبا اياها بأقوى ما يملك المرء من

عاطفة ، كالذى يصرخ عندما تموت أمه « لغتى » •• لغتى هى الروح والنفس ، والذكرى لشعبى •• تفيض من ألسنتهم فى نافورة خالدة متدفقة فى رشاقة ، لا تجف أبدا •• كم أتوق بشغف لأقل الأشخاص أناقة وبلادة ، يستطيع التحدث تلقائيا بهذه الكلمات ، التى كانت يوما ما حياتى ، فهى تمثل قطرة من تلك النافورة ، تلامس وجه المرء كنعمة الهية •

لكن فى هذه الغرفة لا يوجد من يعرف نافورتى ، ولذلك اذا أردت أن أتحدث لغتى ، فعلى أن أتحدث بها الى ذلك العصب بوجهى ، أقول له : تعال الآن أيها العصب أنك تشكل جزءا من تكوين محظوظ جدا •• فاذا ما كنت عصبا فى وجه لاجىء عادى فان المرء يمكنه أن يفهم تقلصاتك ، بل يمكنه أن يلتمس لك العذر فى مثل هذه الظروف ، فاذا أنت انقبضت فانفككت ، وتخليت عن مرتكزاتك ، وأصبحت فى الشارع بلا مستقبل سوى أن تكنس والقمامة •• لكنك يا عزيزى لابد أن تفهم أنك جزء من وجهى ، وجه مميز ، وجه أديب ، وجه قد صور فوتوغرافيا مرات ، فلا يعترض حيال أن يرسم أو يصور •• آه يا ماريا أين أنت الآن ؟ ! انها كانت خدعتك الصغيرة ، أليس كذلك يا ماريا ؟ ، حينما اقترحت رسم صورة زيتية لى تجمعنا معا •• وقبل ذلك

بكثير أحببت أن تضيفي اسمي لسجل أحبائك .. لا أريد أن أراك ثانيـة يا ماريا ، لأن سنوات عديدة مضت منذ أن انتهى كل شيء بيننا ، فقط أريد أن أعرف أين أنت ؟ .. لكن أحـد المطلبين مستحيل مثل الآخر .. لن أراك أو أسـمعك ثانية ، من سنة مضت ما كان للتفكير أن يؤذى ، لكنه الآن يؤذى يا ماريا ، بل يؤلم فعلا ، حتى أكاد أصرخ بصـوت عال . ليس فقط بسببك يا حبيبتى الحزينة الخسيسة ، ولكنه بسبب تذكر الحـديث .. المقهى ، حيث أتيت لأول مرة ، وقدمتى فيه نفسك « لا تظنى أننى لم أدرك أنك كنت تريدين ... منذ اللحظة الأولى » .. آه .. الشـمس المشرقة ، والشـارع المتكاسل ، يا الهى ، الأصوات .. ماريا انك تحولت فى عقلى فأتخذت شكلا جديدا مقدسـا بفضل تلك النار المتأججـة فى ذاكرتى ، لقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من النافورة .

والآن ها هى ذى مضيفتى تأتى ثانيـة بصحبة ضحيـة أخرى ، تبدو خائفـة لتقدمهـا لى .. كاتب آخر ؟ .. محرر أو ناشر ؟ .. أو فقط أى شخص ، استطاعت الحصـول عليه ، كى تساعد على اخفاء هـذا الوجه التراجيدى بذلك الركن ، والذى يحدث نفسه ، ويتقلص وفى يده كأس فارغ .

لكن هناك زجاجة ، الآن لم يعد كأسى فارغا ، وهنـاك

وجه جديد ستراه ، واسم جديد .. وتبدأ اللعبة من جديد ، كيف حالك ؟ ، نعم ! .. ستة شهور الآن . بالتأكيد كانوا بالفعل في غاية الكرم .. خطتي المستقبلية .. ثم أتوقف عن الحديث بسبب العصب ، الذى لا يبرح وجهى ، ولكنه يواصل الحديث معى دائما بلغتى الخاصة المفتقدة ، مذكرا اياى بسماء تحتها عشت شبابى ، وعايشت وجوه أصدقائى ، بعضهم أموات ، والآخرون مفتقدون ، والمقهى ، وماريا تسير عبر الشارع فى دفء الشمس ، و « الكانفا » تحت ابطها ، وكذلك القصائد ، التى أعتدت أن أكتبها وأرددها لنفسى فى الحجرة المرتفعة ، التى تطل على المدينة فى المساء ، والحديث والنافورة الواهبة للحياة الجميلة .. للغتى الخاصة ، التى تراسل تيارها الراقص الباهر .. لن أراها مرة ثانية .

نعم كانوا كرماء جدا ، أكاد لا أشعر انى لاجىء . نعم أنا محظوظ بشكل غير عادى .. وتستمر لعبة الكراسى الموسيقية .. ها هى ذى ضحية جديدة .. وأخرى .. وأخرى، وكأسى يمتلىء ليفرغ ، ثم يمتلىء ثانية .. استمر الحفل لساعات ، وحالا سأعود ، ولكن ليس بعد ، ان مواجهة الوحدة أمر قاس ، برغم اننى لست مع هؤلاء الناس ، ولكن فقط بينهم ، فان هذا ــ فى حد ذاته ــ شىء ذو بال .

وبطريقة تلقائية أواصل الحديث ، وهأنذا أتحدث وامرأة فى الحفل ، يتحرك فمى تلقائيـا مشكلا نفس المقاطع البالية ، التى صارت عديمة المذاق على الرغم أنها لا تزال تتمتع بقوة حداثتها ، وكلما تحدثت ركزت نظراتى عليها لأجذبها ، مثلمـا يفعل انسـان فى نصف وعيه وشخص من الجنس الآخر .. نظرة .. ثم أفكر فى شيء آخر .. لكن لا ! ، ماذا أصابنى ؟ ، فجأة أشعر بضعف ورعشـة فى الركبتين ، فأمد يدى لأثبت نفسى على المنضـدة ، هناك .. لقد ذهبت بالفعل هذه المرأة الممتلئة الشقراء ، والتى تبدو فى العقد الخامس ، تبتسم فى ثقة لكنها ذات نظرة ميتة .. فى تلك اللحظة ــ حينما كنت أحملق فيها ــ رأيت ماريا ، مارياكمـا كنت اسـتدعيها فى مخيلتى ، صغيرة وجميلة وشيطانة ، لكن فى الواقع كانت ماريا بدينة ، ثائرة وخسيسة ، وغير نظيفة .. أواه .. اننى أعرفك يا ماريا ، قد تكونين سعيدة الآن ، لاعتقادك انك خدعتنى حتى فى لحظة الذكرى .

ماريا أنصتى لى جيدا ، سأتحدث معك بلغتى .. حتى هذه اللحظة لايزال فمى يحرك المقاطع المجهدة ، وينثرها هنا وهناك من أجل هـذه المرأة ، زوجة شاعر ، ومثيرة ، أليس كذلك ؟ فنان يبذل الحب بلا حدود لفنان آخر .. أنت بألوانك ، وأنا

بكلماتى • أعلى المدينة فى ليالى الربيع المضيئة •• أمر بديع ومدهش •• ألم تكن كذلك يا ماريــا ؟ ، لقد كنت جميــلة وقــذرة ، وبك مس من الجنــون •• أليس كذلك ؟ ، لكن ما كان لى أن أهتم بمظهرك الخــارجى ، ولا بزى رأســك الاضافى ، ولا بقدميك التى تشبه رجلى الغراب ، انما كنت أهتم بروحك الساحرة ــ اذا لم تكن قد شوهت بعد ــ انك حقيقة لا تحبين الرجــال ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد عاملوك معاملة سيئة ، لكنك لا يمكن أن تستغنى عنهم ، واستحققنا جهنم الصــغيرة الحقــيرة ، التى شــيدناها معــا •• نعــم بعض الصور ، التى ترينها فى ذاكرتك حقيقية ، أو على الأقل ليست كلها زائفة ، كان عندنا حجرة مرتفعة ، وكان يمكننا أن نطل على المدينــة من عل ، وكنت أجلس بجــوار النافــذة لأردد قصــائدى لنفسى ، لكن الحجرة كانت فى منطقــة شعبية تعج بالزحام ، والســكان الذين سكنوا الطوابق الأخرى ، كانوا عادة سكارى، وأحيانا يتصفون بالعنف ، وكان يمكننا أن تتلمس طريقنا على السلم فى خوف ورعب ، وغالبا ما كنا نضطر للبقاء فى الحجرة دون رغبة فى الخروج ، لأننا كنا نعجز عن مواجهــة السلالم الشاغبة بسجاجيدها البالية ، والمقواة بالرقع القذرة •• آه •• لم أكن أحب تلك الحجرة ، وكنت أتردد فى دفع المبلغ ، الذى أتكلفه أسبوعيا فى ايجارها ، لكن كان علينــا أن نذهب

الى مكان ما .. أليس كذلك يا ماريا ؟ ، وما كان لنا أن نظل طوال حياتنا الصغيرة الحقيرة فى الشوارع ؟ ! .. أكان ممكنا ؟ .. كنت تعيشين وأمك العجوز .. وقد حصلت منها على الكثير بعد زيارة واحدة ، وقد ظلت تتبعنى تلك العجوز المخرفة من حجرة لأخرى بصوتها المرتفع الحاد .. ربما كانت سيئة مثل زوجتى ، غير أن زوجتى كانت مؤسفة حقا ، ولا يغفر لها أسلوبها لاظهار عدم الرضا عن حياتها معى .

حسنا .. لقد انتهى كل هذا ، زوجتى لا يمكننى اصطحابها الى الخارج..على أية حال هى لاتريد ، حتى لو كان ذلك ممكنا ، انها ستتودد بتقديم الخدمات للنظام الجديد ، ومن المحتمل أنيسمحوا لها بحقوق نشر كتبى ، وسوف تعيش راضية سعيدة .. الغريب اننى فجأة بدأت أكرهها بشدة ، لقد بدأت تتحول فى نظرى الى ضفدعة بعد هذا الحفل .

وقبل انصراف آخر ضيف كنت أتعجب ، كيف أقضى معها الليل ؟ ! ، وكيف أسمح لخمسة آلاف ليلة تمتد أمامنا على طول الطريق الى القبر ، وابنتى ستكون على ما يرام فى ظل النظام الجديد ـ اذا فرض ان هناك نظاما جديدا بالفعل ـ وهنا أراهن ، والآن على وجه التحديد انها فصلا

وجدت نفسها فى الرتب العالية للبيروقراطية ، وستركب سيارة وتأكل أجود أنواع الشيكولاتة المحلاة بالخمور .. ربما كانت ترتب لهذه الأمور ، على اذن أن أهرب لأنجو بحياتى ، واذا ما قبض على فلا يساورنى أدنى شك ، انها ستستأذنهم لحضور تنفيذ الحكم باعدامى ، وقد تقول ، وهى مندفعة الى الأمام لتظهر بوضوح : انظر يا أبى أنا هنا ، هذا هو معطفى الفرو الجديد ، وغدا سأنال أسورة بديعة ، وأمى لن تصادفها متاعب الحصول على الكيروسين ، والآن تقرر انها أكثر مهارة منك .. نعم يا حبيبتى قد أقول ، وهم يعصبون عينى : لقد ورثت مهارة أمك ، وكلاكما أكثر ذكاء منى .. كل ما استطعت عمله هو كتابة الأشعار ، وأصدقائى المختارون كانت الكلمات ، وبينكم صنعتم منى وجبة شهية ، آه .. لقد ألتهمتم كل شىء حتى نهايتى .

يا الهى لم أسمع كلمة تفوهت بها هذه المرأة طيلة الخمس دقائق الأخيرة ، فقط تنظر لى بطريقة غريبة مريبة ، ربما تظن اننى سكران .. حسنا انى سكران بالتبيان ، سكران بالوضوح ، يجب أن أخرج وأتجول فى الشوارع مع نفسى.. الى اللقاء يا مضيفتى ، الى اللقاء هنا ، الى اللقاء هناك ، معطفى وقبعتى ، الى أسفل السلم ، الى الشارع البارد الممطر ،

هواء رطب ، والنهر العظيم يهب بقوة بعد ذلك ، ربما فى يوم ما أحب هـذا المكان رغم كل شيء ، وبين الحين والحين دعونى أعود الى ماريا ، أو أمكث .. لا .. لا تدعـونى أعود الى ماريا ، لن أراها كما كانت ، وهـذا ما أثار غضبى ، كم كانت ذكريات غير أمينة ، الآن عدم الأمانة يفيض ويفيض ، ربما أخذت العـدوى من ماريا ، لقد كانت تكره الأمانة ، مثلمـا يكره الخفاش ضـوء النهار ، ويؤلمهـا أن تسمع شخصـا يتحدث بالحق ، حتى ولو فى أحط وأتفه الموضوعات .. لها لصوصيتها، تخطف أى شيء صغير يستولى على مشاعرها ، ويسلب لبها ، وتضعه فى حقيبـة يدها بأسرع مما تتعقب يدهـا عين ، ولكن الأشياء الصغيرة ، التى كانت تؤثرها هى أوراق البنكنوت عندما يمكنها الحصول عليها ، لم أكن أجرؤ على اخراج ما فى جيبى أمامها فى المساء ، كنت أحتفظ بنقودى حيث أستطيع الحصول عليها ، يحدث ذلك حتى عندما يكون الحب بيننـا .. لمـاذا يا ماريا ؟ .. حسنا ، حيث لا هدف .

دع التركيز عليها الآن ، كل ما يهمنى أنه كان على وسط هذه التفاهة والسأم أن أحظى بلحظة من السطوع والتوهج .. أن أنفذ الى ما وراء الستار الخلفى المتخيل للأحـلام ، التى كنت أرسـمها لنفسى ، فجـأة تبرق تلك اللحظـة بطول خط

المتصف ، وأسعد بلحظة من حياتى ، تكون بالفعل متأججة ومشوهة وحقيرة فى تفاصيلها وحدودها عدا ما يخص أشعارى ، المهم اننى التصق بها •• أشعارى كانت حقا جيدة ، وأعتقد انى يوما ما سأضطر أن أؤكد لنفسى وغيرى هـذه الحقيقة ببساطة كحقيقة ، كشىء أتذكره ، والسنون تمر ، وسـوف تتوقف لغتى ولا تصبح امتلاكا حيـا وخاصـا ، برغم انى آكون قادرا دائمـا أن أقرأها ، وأتحدثها ، آه •• سأفتقد تلك الخاصـية الذاتيـة الروح ، والتى تمنـح الانســان القــدرة على التمييز بين الغث والثمين فى الابداع الأدبى ، ولكن الآن ، وأنا أسير هنا ، والمـاء الداكن على أحد الجانبين ، والبنايات العالية الميتة على الجانب الآخر •• فى هذه اللحظة بالذات أعرف مهارتى والكلمات ، لم تخنى قدرتى معها قط ، لا يوجد بين شعرائنا من أحب واكتسب لغة حية مثالية مثلى ، لم يوجد شىء لم تستجب له ، وأى شىء سألتها أياه أعطته فورا ، لقد كنت طفلها المدلل ، الذى تحقق له كل رغباته ، بينما هنـاك رجـال ذوو مواهب أصيلة قد عانوا سنوات عديدة ، ولم تسمح لهم بالدخـول فى بلاطهـا ، ولم تلب لهم طلبـا ، ولا يدركـون هل هى فى حـالة تستطيع أن تفى برغبـاتهم ؟ •• الحقيقـة أن الأمر لم يكن مسألة امتلاك كلمات ، هنـاك شىء أريد أن أقوله ــ وأعتقد أن كل انســان يعرفه ــ ربما لأن حيـاتى

الخاصـة فاشلة ولا طعم لها •• فقد رأيت بأقصى درجـة من الوضوح ما هى الحياة على هذه الأرض •

فقد رأيت حتى آمال وأحلام الناس ، وعبرت عنها تعبيرا شـعريا صـادقا ، آتى بالدمـوع من مآقيهم ، ليسـت دموع حزن ، لكنهـا دمـوع فرح ، نعم دمـوع فرح وراحـة ، حينمـا يجـدون انهم ليسـوا وحـدهم فى هـذه الدنيـا ، وان شخصـا ما قـد عـاش أحـلامهم ، التى تأتيهم عنـدما يضـعون رءوسـهم فوق وسـائد الليـل الموحش ، آن أحلم أحـلامهم ، وانحت مفردات ، لم يعرفوهـا منذ مليون سـنة وأن أكسو احلامهم بهذه المفردات ، أن أثريهم بكل العظمـة والعمق والتصـوير الراعش المحرق العظيم ، والذى يمـارس تأثيره من خـلال لغتى ، كان ذلك هو انجازى ولا مخـلوق يستطيع أن ينزعه منى •

اذن ماذا يهم بعد ذلك كله ؟ ، أنا مخـادع لنفسى ، وليس عندى صـدق أخلاقى ، أتذكر حياتى القديمة وكأنها شىء من الراحة والحرية والسطوع ، بينما كانت فى الحقيقة حيـاة غبية وحقيرة كحـذاء ألتقط من بركة آسـنة ، حينمـا يكون لى ذكريات لا يكون لى الا الأحلام ، لاننى أعرف آن هذه الاضاءات والاشراقـات اللحظيـة من الحقيقـة والصـدق سـتخبو ،

ربما كان عندي بالفعل قوة الهام . وفى كابوس الآن لمدة ثانية ، أو لحظة اكتئاب ، قد أرى ماريا كعاهرة ولصة بالسليقة ، واصفا بخيال الفنان زوجتى كامرأة هوجاء وقذرة وكئيبة ، وابنتى كعاهرة تافهة تماما ، ومكسوة بالأنانية ، مثلما يطهى خنزير ويلف بالدهن ، ويقدم كهدية ، قد أرى مقهاى الحبيب بارا مليئا بمضيعى الوقت المخبولين ، وقد استحوذ عليهم الخداع والحقد ، بينما قليل من الاحساس النبيل يجب أن ينزع من جبل النوايا السيئة والأحاديث التافهة .

حتما ان ذلك لا يعنى أحدهم ، هذا ما اكتشفته هذه الليلة ، ان لغتى أصيلة ، وحبى وولائى لها عظيم ، والقصائد التى كتبتها بها ، والحياة التى كانت احتفالا متصلا لهذه المعجزة ، والقاموس اللغوى المتفرد ، كل هذه الأمور كانت واقعا وحقيقة ، وفى الميزان الأخير يتأكد للمرء أن قدرا يسيرا من الحقيقة سوف يفوق عالما من الزيف ، بلدتى ومقهاى وماريا ، وزوجتى وابنتى ، وكل انشغالاتى اليومية — كما كنت أعرفها — كانت كلها ملوثة ومدنسة .. لكن الآن ، ولأنى أفكر فيهم بكلمات تتوافد من ذلك العالم البعيد الجميل ، قد صاروا حقيقة ، وبمجهود شديد يمكننى أن أراهم كما هم بحق .. لكن نافورتى أراها لحظة اغماضة عينى

بوضوح تام ، مثلما أرى ، وعيناى مفتوحتان عمود النور الماثل أمامى الآن .

عدت الى المكان ، الذى أعيش فيه ، وسأصعد الى حجرتى ، واستلقى ، وسأتوقف عن الصراع ، ومن هذه اللحظة سأستسلم للنافورة مستقبلا قطراتها الربانية .. ان تيارها المقدس قد مس ذكرياتى فحولها الى آمال وأحلام ، وعلى الرغم من ذلك لست أنا الذى قد حلم طوال هذه السنين ، بل النافورة .. لغتى .. لقد صارت حياتى ، والآن وهى تنسحب وتبتعد فأبعد عن حقيقة الواقع ، وتصير كل أيامى ملجأ فيه أتجول ، وفيع أخضع لذاتى فأصبح ليس بالحالم ، ولكن الحلم نفسه .. الحق أن هناك أياما أخرى تنتظرنى .

ليس من المناسب الآن أن يدعى « ايكى » ، فهو فى طريقه آن يصبح صبيا ، فقد اقترب من السادسة ، وصار يرتدى بناطيل ذات أحزمة منفصلة ، واستغنى تماما عن الحمالات المطاطية ، التى تقترن بفترة ألطفولة المبكرة .

اسمه الآن « أريك » ، ولكن ما كان هذا الا احدى التغيرات ، التى تطرأ بمرور الزمن ، لم يكن تغيرا مزعجا ، وهو تفسه قد أدرك ذلك ، لم تكن أمه قد قصدت هذا النوع من التغيير ، حينما وعدته بانه لن يحدث أى تغيير .

وكان كل شيء يسير كالمعتاد سوى غياب أبيه ، الذى حل محله « دونالد » ، وكان (أريك) بالطبع يعرف (دونالد) وأحس بارتياح لوجوده بالمنزل ، رغم أنه كان يبدو قلقا حينما يأوى الى فراشه ، ويفكر فى الأمر بجنون وبلا هدف .. ان مجىء (دونالد) الى المنزل يعنى حتمية ذهاب أبيه ، لماذا يجب أن يكون ذلك ؟ ! ، فالمنزل واسع جدا ، وهو ليس له أخوة أو أخوات ، حتى لو كان له ما اعترض على مشاركتهم حجرة نومه ، ولو مع طفل يحتاج للرعاية ، ما دام هذا يوفر غرفة نوم لأبيه ، ولماذا يحدث ذلك ، كانت هناك حجرة شاغرة بالفعل وقتذاك ؟ آخر مرة شغلت فيها هذه الحجرة بعد سنوات ، حينما كان أصغر من ذلك .. بالتحديد فى الشتاء الماضى ، كانت الزائرة سيدة ذات أسنان جميلة ، تحضنه مع شهيقها ، تحضنه مع زفيرها ، مثلما يفعل أى شخص آخر ، وقد أمضت ليلتين أو ثلاث .. لماذا يفعل الكبار كل شيء بمثل هذه السخافة والجنون ؟ ! ، دائما يقولون له : « لا تكن سخيفا .. وهم فى الحقيقة السخف نفسه ، وبشكل غير مجد تماما ، لا يضحكون ، ولا يغنون ، فقط سخفاء وحزانى ، ومن الصعب جدا فهم ايحاءاتهم ، لكن هذا أمر آخر ، فاذا أعطوك شيئا

تسير عليــه يستحيل أن تعرف كيف تتقبــله ، فقد أحضر له والده قطـارا منذ أســابيع قليــلة ، وعلمــه كيف يوصــل القضبان معا ، وكان ذلك يعنى أنه سيبقى معه ، فأى شخص عاقل حســاس يشترى قطـارا أو يركبه فلابد أن يفهم ــ حينئذ ــ أن ذلك اشــارة للتحرك أو الرحيل ، حتى لو كان فى شكل هدية لشخص آخر .

كان (دونالد) يحسن فعلا معاملة القطار ، وعلى (اريك) أن يعترف بذلك ، فقد اشترى للقطــار جسرا ، وعــددا من العربات ، فى البدايــة اشــترى عربــات غير مناســبة ، فقد كانت عجــلاتها متقــاربة جدا ، ولا تتناسب والقضبان ، ولكن (أريك) بدلا من أن يلعب لعبة الكبار السخيفة ، يمتصــون خدودهم ، ثم لا يفعلون شــيئا ! ، فقد ذهب الى المحــل بعد القيلولة فى نفس اليوم ، وحصل على النوع المناسب ، ربما كان يعنى ذلك أنه ــ أيضــا ــ على وشــك الرحيل ، ولكن لم يبد ذلك ممكنا بنفس الدرجة ، فقد اعتادت أمه أن تكون قريبة منه طوال الوقت ، حتى كانت تحتضنه دائما من خاصرته كمــا لو كانت تود أن يظلا جزءا واحدا .

على أية حال فهو الآن لم يعد (ايكى) ، بل (اريك) ،

وقـد أصبح كبيرا ، ربمـا كانت الغلطـة غلطتـه ، ان كل شيء أمامه بدا غريبـا ، ولم يعش بما يتناسب وبناطيله الرمادية، ربما كان الأمر كذلك بالفعل ، فقد كان يخشى أشياء كثيرة ، ولا يسأل أسئلة ، من المحتمل ألا تكون لها اجابات بسيطة .. هل هو الخجل ؟ ! .

لنأخذ مثلا « راعى الخنازير » فقد ترك هـذا الرجل قضية معلقـة فى ذهن الصبى الى حد بعيد ، وما شـك أحد من الكبار أن هـذا الرجل شيء يخشاه (اريك) ، وربما كان (اريك) سلبيا ، وهـذا كل ما فى الأمر ، لو أنه بدلا من تجنبه بمثل ذلك الحرص ، خـرج ليلة ونظر اليه نظرة طويلة غـير خائفـة ، تاركا الباب الخلفى مفتوحا وراءه ، بحيث يمكنـه الاسراع الى الداخـل ، حيث الأمـان والدفء .. على كل كان من الأفضل ألا يرى راعى الخنازير الا حينما يكبر .. وها هو ذا فى حوالى السادسـة ، ولكنـه ليس كبيرا ، الا أن راعى الخنازير كان دائما ــ فى نظره ــ أحد الأمور المحيرة ، لم يطلب منه أحد أن يكون حريصـا كيـلا يمسـك به راعى الخنازير ، ولم يحذره أحد بأية طريقة ، لهذا فان راعى الخنازير لابد أنه غير مؤذ ، لأن حينما يأتى الى أى شيء يؤذى أو يضر ،

كالمرور فى الشـــارع الرئيسى تجد النـــاس يسدون النصيحة : « يجب أن تنظر الى كلا الجانبين » الا أنهم عندما يصـــلون الى راعى الخنـــازير فلا أحـــد من هؤلاء يذكره ، ولم تبد أية ملاحظـــة .

تقول أمه بين الحين والحين : « دعنى أرى راعى الخنازير راعى الخنـــازير سيصل حالا ، ولم أته من أى شىء بعد » واذا تحدثت مثل هـــذا الحديث فان العمود الفقرى لاريك يثلج ، ويظل ساكنـــا ، ينتظر بلا حراك ، لأن غالبـــا ما تكون الكلمات التالية : « أريك .. خذ هـــذه القشور ، وأى شىء يجب التخلص منه الى صـــندوق القمـــامة ، هل أنت جـــاهز يا عزيزى ؟ . »

كان صندوق القمامة على بعد خمسين ياردة من الباب الخلفى ، ويشترك معهم فيه أناس آخرون من المنزلين المجاورين ولا أحد منهم يخشى راعى الخنازير ! ، ماذا كان موقفهم ؟ ! .. لا يعـــرف بالضـــبط ، ويتعجب لذلك .. أكانوا آسـفين من أجـــل ذلك الرجـــل ؟ ، لأنه يأكل مواد باليـــة ذابلة ومبللة من صـــندوق القمـــامة ، كأوراق الشـــاى وقشر البيض وما شابه ذلك ، ربما كان يطهيه عند عودته الى منزله ، ويجعله مقبولا ، بالتأكيد ان ما يأكله الرجل لا يبدو لطيفا ، عندما ترفع

غطاء الصـــندوق ترى كل شيء ملق في قذارة ، وأحيانا تصـــدر رائحة كريهة للغاية •• أكان راعي الخنازير فقيرا الى هــذا الحد ؟ •• ترى أكان آسفا لحاله أم أنه كان يشعر بالراحة لأنه كذلك ؟ ! ، ماذا كان يشبه راعي الخنازير ؟ •• قد يكون له عينان صغيرتان ، وأنف ذو نهاية مفلطحة •• لكن هل له أربع أرجل ؟ ، وهل له يدان وقدمان مثل الناس ؟ ! ، فكر (اريك) في المشـــكلة بهدوء ، وهو مســتلق على ظهره فوق سريره ، دلو راعي الخنازير له يد ، اذن فهو يحمله بيده ، كما يفعل خـلق الله ، اذن لا يســير على أربع ، واذا كان يســير على أربع فحينئذ يمـــكنه أن يحمله بفمه ، ولكن هــذا لا يبدو محتملا أو قابلا للتصـــديق ، لأنه اذا سار على أربع فما الفرق بينـــه وبين أي خنزيـــر ؟ ! •• واذا كان ذلك كــذلك فيجب أن يسمى « الرجل الخنزير » بدلا من الخنزير •• بالتأكيـــد ان الرجل يتضمن وصفه شيئا من ذلك ، فهو كان قائما ، ويرتدي زيا ، أيستطيع التحدث ؟ ، وربما بطريقة الخنازير •• كيف يتسنى له أن يخبر النـــاس بنوعيـــة الغذاء الذي يريدهم أن يضعوه في دلوه ؟ ! •• لمـــاذا لم يســـأل أباه عن راعي الخنـــازير ؟ •• تلك كانت غلطته ، كان من الممكن أن يخبره بكل شيء يخص راعي الخنازير •• ولكنه للأسف ذهب •

وخلد (اريك) الى النوم ، وفى منامه رأى أباه وراعى الخنازير مسافرين معا فى قطار ، وراحا بعيدا ، صرخ (اريك) بعـدها فى يأس : « أبى ، لا تحضر راعى الخنـازير حينمـا تعود .. لا تحضر راعى الخنازير . » ، كانت أمه — حينئذ — فى حجرته تقبله ، وتفوح بالعطر كوردة ، كانت ناعسة وأيقظها صراخه ، ولكنها هدهدته ، واغرقته فى النوم مدة بلا أحـلام مزعجة ، ولكن فى اليوم التالى عاودته تساؤلاته القلقة الحائرة .

لاتزال هنـاك المدرسة فى الصباح ، وقضاء المشاوير بعد القيـلولة .. وتجمعت لديه أشـياء كثيرة فى صـورة راعى الخنـازير ، وأسئلة خاصـة به ، ولم يكن بعد قط عن القلق ، منذ بضـع ليال .. حتى وصـل الأمر فجـأة الى حد الأزمة .

لقد سمح لاريك — مرة واحدة — أن يحضر قطـاره الى حجرة العشاء ، بعد تناول الشاى ، لأن فى هذه الحجرة مدفأة جعلتها أكثر لطفا ودفئا من الحجرة ، التى تعود اللعب فيها ، نعم كانت دافئـة ومضيئة ، والسجادة المفروشة أمام المدفـأة ناعمـة وقوية ، ومناسبة تماما لوضـع قضبان القطـار .. و (دونالد) قد عاد الى المنزل ، وكان وقتئذ جالسا بمقعد الأب ، يقرأ الجريدة ويدخن سيجاره ولا يعبأ بشىء ، والأم فى المطبخ

تنظف الأوانى ، وترتبها فى هدوء ، وكلا البابين كانا مفتوحين ، بحيث يمكنهـــا ودونالد أن يتبـــادلا ملاحظتهـــا ، فقط طرقة قصيرة تفصـــل بينهما ، هناك شيء واحد ، أحبه (أريك) وأسعده ، لقد كان يوصـــل أجزاء القضبان ، ويحملق فى القاطرة معجبا ، وهى تقف فى عظمـــة منتظرة العربات لتجرها ، وتدور وتدور بسرعة فائقة . بينما كان أثناء نومه بعيدا عن السعادة .

وفى تلك اللحظة نادته أمه : « اريك .. من فضلك كن لطيفا ، وخذ هـــذه القمامة الى راعى الخنـــازير ، فيداى قد غطتهمـــا عجينـــة الكعـــك ، ســـأدعك تنظف حوض العجين حينما تعود » .. ظل ساكنا للحظـــة ، متمنيا لو لم يكن قد ســـمعها ، وأن يكون ما ســـمعه مجرد طيف خيـــال .. لكن (دونالد) نظر اليه قائـــلا : أذهب يا رجـــل ياعجوز .. انك بالطبع لا تمانع ، أليس كذلك ؟ ، قال (اريك) : « سيحدث عندما يأتى راعى الخنـــازير ، بالتأكيد أنه سيتخلص من هـــذا الشيء العميـــق جـــدا ، الخـــوف من المواجهـــة الثقيـــلة لرجل الخنـــازير ، » ، قال (دونالد) : « حســـنا » عائدا الى التطلع فى جريدته .. آه .. لمـــاذا قال : « حسنا » .. أيريد حقا أن يقابل راعى الخنـــازير ؟ ! .. ببطء وغرابة تساءل

لماذا قدماه لا ترفضان التحرك ؟ ! ، دخل (اريك) المطبخ ..
قالت أمه ، مشيرة الى حامل من الورق البنى المقوى مليء
بقشور البطاطس ، ونواتج الكحت ، ها هو ذا هنـاك ، خذه ،
أخذه وفتح البـاب الخلفى ، وأسرع نحو دلو القمـامة ..
هناك وجد نورا ، يستطيع أن يرفع الغطاء ، ويلقى بالمخلفات
ويعود بسرعة الى المنزل ، فى وقت لا يستغرق فى العد الى ١٠
١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٦ .. وتوقف ، فدلو القمامة غير
موجود فى مكانـه ، ذهب (اريك) ودقق النظـر ، برغم أن
الضوء لم يكن ضعيفا أو خافتا ، وتأكد بأن دلو القمامة قد
ذهب ، وان راعى الخنازير ذهب هو الآخر .

٧ ــ ٨ ــ ٩ ــ ١٠ ، وكانت خطواته مرحة خفيفة ، عـاد
بسرعة الى المنزل ، حيث الدفء والضـوء وقطاره ينتظره ..
قـال : « لقد ذهب راعى الخنـازير يا أمى ، ودلو القمامة ..
عبسـت الأم ، ويدهـا فى أعمـاق حـوض العجـين » :
« أواه .. نعـم ! » .. اعتقـد انى سـمعته ، منـذ
لحظـة قصـيرة ، قبـل أن أنـادى عليـك بقليـل ،
لابـد أنه هو الذى جعلنى أفـكر فيه .. قـال (اريـك)
بأدب : « نعـم ؟ ! » ووضـع الحـامل مكانه فى المطبخ ..
وواصلت الأم : « ولذلك اذا تحريت البحث يا عزيزى فسوف

يمكنك اللحاق به ، أريد أن تكون هـذه القمامة بعيدة عن المنزل والطريـق العـام ، ألحـق به حـالا » .. ، وقف (اريك) ساهما أمام الباب ، قالت الأم بخشونة الى حد ما : « نعم يا عزيزى ألحق به ! » ، هذه الأم الصغيرة الكفء ، والتى تعرف بالضبط متى تكون حازمة ، وكلماتهـا حاسـمة تكمل : « على أية حـال لا يمـكن أن يكون الا على بعد مسافة قصيرة جدا » .

وقبل أن تنهى كلماتها كان (اريك) خارج الباب يركض ، هـذا الأسلوب يعرفه تماما ، نفس الأسـلوب الذى يتبعه ، عندما يذهب الى ماء شديد البرودة ، ولو كانت هـذه هى النهايـة .. حتى لو راعى الخنـازير جذبـه ، وجره الى كوخـة ، هـذا أسـوأ ما يـكون ، جـرى بسرعـة فى الظلمـة ، ركض .. كان المنظر الخلفى لراعى الخنـازير وفق ما توقعه الى حد بعيد .. يمشى مشية بطيئة متأرجحة ، وكتفاه ممتلئتان ، وقبعة بالية مضغوطة فوق رأسـه ، تخفى أذنيه ، والدلو فى يده ، بليدا ، كمـا لو كان مرهقـا ، وربمـا كان هذا مجرد دهاء ، برغم أنه كان يلاحظ ، وهو يسرع سرعـة كافية ، عندما ترى عيناه الصغيرتان الشريرتان صبيا ، أو أى شىء صـغير لذيذ ، راعى الخنـازير يأكل الطيـور أم يأكل القطط ؟ .

توقف (اريك) وفتح فمه ينـادى راعى الخنـازير ، لكنـه أول مرة حاول لم تصـدر الا أصـوات قصيرة مهزوزة كهبـات الريح ، قلبـه يدق مثـل الصـواريخ الناريـة عند اطلاقها ، وكان من الصعب أن يسمع أى شيء الا بالكاد .

ــ يا سيد ، يا راعى الخنازير .

هـذه المرة صـدرت الكلمـات واضحة ومسموعة الى حد ما..الشبح العجوز المتأرجح توقف ، واستدار اليه ناظرا.. لم يستطع (اريك) أن يحدد بالضبط من أين توقف ، ولكن كان عليه أن يعرف ، وقد غاص كل شيء .. حتى خوفـه فى موجة المد الشابة لحب استطلاعه .. وتقدم ، ومع كل خطوة كان يراه أكثر وضوحا .. وما كان راعى الخنازير الا رجـلا عاديا عجوزا .

ــ « أهلا بنى ، هـل أحضرت بعض القمامة للخنـازير الكبيرة هناك » .

أومأ (اريك) برأسه صامتا ، وأبرز عرضـه .. ردد (اريك) ــ فى نفسه ــ : أية خنازير كبيرة ؟ ! ، ماذا يقصـد هذا الرجل العجوز ؟ .. وضـع راعى الخنازير دلوه على

الأرض ، له يــدان وذراعــان عاديتــان ، رفــع الغطـاء ، وأخرج (اريك) حامله الورقى ، وأثناء ذلك لمست يده يد راعى الخنازير لمسة خفيفة ، فراح فيض غامر من الامتنان يندفع داخله ، دحرج راعى الخنازير تتاج الكحت الى الدلو ، وناوله الحامل الكرتونى •

ـ « شكرا بنى » •

هكذا قال له •

سأل (اريك) الرجل العجوز : « الى من تكون هــذه القمامة » وبدا صوته كما لو كان له نبراته الخاصــة فى دفعة أخرى من الحديث •• نهض راعى الخنازير مرتبكا ، وحينذاك ضحك بطريقــة تشــبه الغرغرة ، ولكن ليس كالخنزير على الاطلاق •• أر •• أر •• أر •• وأخيرا قال راعى الخنازير : « ليس لى •• اذا كان ما تعنيــه أر •• أر •• أر ، وأعــاد الغطاء الى دلوه •• انها للخنازير الكبيرة ، الخنازير المرباة للتسمين ، هــذا ما يحبونه ، فقط ألا تكون قشور فاكهة ، أحيانا أضع ملحوظة بشأن ما يجب أن يوضع فى الدلو •• قشور الفواكــه تســبب لهم المغص •• قــال (اريك) فى نفســه : « والآن أدرك لمــاذا سمى (راعى الخنازير) ، نظرا لمــا عنده من بعض الخنازير ، التى يرعاها بهذه المهارة » •

ـ تصبح على خير •• شكرا •

وجرى (اريك) ، وهو يسمع راعى الخنــازير ، الرجل العجوز والعادى جدا يقول : « تصبح على خير يابنى » •

كيف فعلتها ؟ ! •• هكذا كان (اريك) يحدث نفسه •• تقدمت الى الأمام ، غير قلق أو وجل ، مثل الذهاب الى المـاء البارد تماما •• اننى فعلا فعلتها •

لقد كان (اريك) يبطىء كلما اقترب من البوابة ، ويردد فى نفسه : « لو كان هناك تساؤل ، وأردت أن تعرف اجابته ، تشـعر انك لا تستـطيع أن تسـأله ، فان الشىء الوحيـد ، الذى يجب أن تفعله بلا تردد هو أن تسأله ، وتنطلق فقط بخطا مستقيمة مثلما تذهب الى راعى الخنازير •• الأشـياء الصعبة والأسئلة المحيرة ، يجب أن تعامل معاملة راعى الخنازير •

هكذا كان الأمر ، وقد لمع الضــوء من خــلال شرخ بالباب الخلفى •• فتحه فدخل ، كانت أمه واقفة بجوار المنضدة، ويداهـا تعمــلان بهمــة فى عجينة الكعك وآذته أن يكحت الحوض والملعقة •• ولكن كان هنــاك شىء أكثر أهمية ، يجب أن يحدث أولا ، وضـع الحـامل الورقى ، وخطـا نحو أمه متســائلا :

ـ « أمى ، لماذا لا يكون أبى معنا ، حتى فى وجود (دونالد) ؟ .. أقصد لماذا لم يعش معنا هنا مثل (دونالد) ؟ ! . »

ـــ نعم ! ، نعم يا عزيزى ؟ .

جاء صوت (دونالد) :

ـ « هل سمعت ماذا قال الآن ؟ » .

ـ ماذا ؟ ! .

ـ (اريك) يسأل : « .... » .

اغلقت الصنبور ، وجففت يديها ـ غير ملتفتة الى (اريك) ـ ثم قالت :

ـ « يريد أن يعرف لماذا لا يمكننا ابقاء (جاك) معنا ؟ » .

خيم الوجوم على المكان لحظة .. ثم قال (دونالد) بهدوء شديد ، بحيث لم يصل صوته الا الى أذنى (اريك) :

ـ هذا سؤال صعب يا (اريك) .

قالت أمه :

ـ « يمكنـك كحت حـوض العجين يا (اريك) » ، وحملتـه وقبلتـه ، داعبت خدها بخده .. ثم قالت بصـوت مـرح :

ـ يا (ايكى) ، يا صغير ، يا مسكين .

وعندما أنزلته ، أخذ ينظف حوض العجين ، وهو واثق من شيء واحد ـ على الأقل ـ ان الكبار مجانين وسخفاء ، وقد كرههم جميعا .. جميعا .. جميعا .

عمـــة هـــلرى

للأديب الانجليزى : سيريل هير

Hilary's Aunt

Cyril Hare

● **عن المؤلف :**

سيريل هير : هو الاسم الأدبى لصاحب المعالى القاضى : الفريد الكسندر جوردن كلارك ، الذى ولد عام ١٩٠٠ م وتعلم فى مدرسة « رجبى » ، ونيوكولدج بجامعة اكسفورد .

وقد تضمنت أعماله كتابا على جانب كبير من الأهمية فى القانون ، ولكنه اشتهر أكثر بقصصه ذات النهايات غير المتوقعة .

وقد وظف ثقافته القانونية الخصبة فى اضفاء المفاجآت على نهايات قصصه ، مما جعلهــا تكتسب جاذبية خاصة .

عمـــة هـــلرى

ينتسب هلري سميث الى عائلة مرموقة جدا ، ولم يكن والده يتردد فى ذكر هذه الحقيقة ، ان عمر العائلة الحقيقى كان مبهما ومشكوكا فيه ، ولكن السيد سميث كان يسلك سـلوك رجل من المـاضى ، فكانت أفكاره وعاداته تنتمى الى العصر الفيكتورى ، ولســوء الحظ كان هلرى نفسه يعـانى بعض المشاكل القليلة مع البنك نتيجة لشيكات حررها ، كانت هذه المشاكل تبدو كأمر تافه بالنسبة لهذا الشـاب ، ولكنهـا لم تكن كذلك بالنسبة لوالده ، ومن ثم أرسل هلرى الى استراليا على وجه السرعة •

كان السـيد سميث لا يعرف الا القليل عن ذلك المكان ولكنه فهم شيئا واحدا ، ان استراليا مكان ملائم جدا لأولئك الذين يمقتون العادات القديمة فى انجلترا .. هلرى لم يحب استراليا ، وكذلك استراليا لم تحبه ، ولذلك انتهز أول فرصة ليعود الى انجلترا ، ولكنه لم يكن قادرا بطبيعة الحـال على تدبير المبلغ اللازم لشراء تذكرة العودة ، ولذا قد تحتم عليـه الانتظار حتى يتوفى والده وأخوه ، ولحسن طالعه فقد حدث لهما ذلك فى نفس وقت أزمته .. وبعد ذلك تسلم كل الأموال الخاصة بتلك العائلة العريقة ، التى لم تحقق المزيد من الأموال خلال الأعوام السابقة لوفاة والده وأخيـه ، ومن ثم لم تكن هناك مبالغ كبيرة ، والنقود التى ورثهـا قد تبخرت بسرعة عجيبة ، ولم يعد أمام هلرى سـوى اختيار أحد بديلين : اما أن يموت ، أو يعمـل ، ومن وجهـة نظره ان أيا منهما لم يكن يجاب له السرور ، ولكنـه تذكر بأنه ليس وحـده فى هـذا العالم الصعب ، فله عمة حية ترزق ، وكاد يصرخ من شـدة الفرح .

كانت الأخت الوحيـدة لأبيـه ، لكنـه لم يكن يعرف عنها الا النزر اليسـير ، كانت أفـكار والده الباليـة هى المسـئولة عن جهـله بالعمـة ، وعـدم الالمـام بأحوالهـا ،

فحينما يذكر اسمها لم تكن تبدو على وجه والده أية سعادة « عمتك مارى لم تشرف هذه العائلة يا هلرى » •

ردد والده ذلك أمامه كثيرا بمناسبة وبلا مناسبة ، وقد حاول هلرى أن يعرف ماذا فعلت ، ولكنه لم يفلح وقتها ، وقد تأكد فيما بعد ، انها رفضت الزواج من أحد النبلاء، وبدلا منه اختارت زوجا من ذوى المهن التجارية •• وبالطبع لا يمكن أن تتحمل أسرة عريقة هذا النمط من السلوك فى ذلك الحين ، وبمجرد أن أصبحت أخته « مارى » زوجة بروثرو اعتبرها أخوها فى عداد الأموات •• فيما بعد توفى السيد بروثرو تاركا الكثير من الأموال ، ولكن هذا لم يشفع قط أن يعيدها أخوها حية من وجهه نظره •• بعد مجهود بسيط عرف هلرى عنوان عمته أثر محادثة هاتفية ومحامى العائلة •

ولحسن الطالع كانت لا تزال تحمل بقايا اخلاص تجاه أخيها ، حتى بعد انفصالها ، ومن ثم أشرقت شمس حياة هلرى ثانية ، وبدت العمة كما لو أنها تحبه ، ورأى بعينيه مدى حنوها عليه ، وعندما كان يشعر باخلاصها تجاه العائلة يمكنه التحدث بشكل جذاب مشوق •

وها هو ذا قد تعود على زيارة منزل عمته ، وسرعان

ما ألف الاقامة مستريحا فى منزل العمة الودود ، ذلك المنزل الذى أثثته على أحسن ما يكون أرباح التجارة ، فعلا كان هلرى يحس براحة حينما يتحرك فى أرجاء المنزل ، ويسيطر عليه احساس بحار وصل توا الى الميناء ، فهو حقيقة لم يعد يملك سوى ستة بنسات .

ولم تمض سوى أيام معدودة ، وقد بدت له الحقيقة واضحة كل الوضوح ، ان عمته مريضة بمرض خطير ، كانت تتصرف بشجاعة ، لكنها فى الحقيقة كانت تموت ببطء وبالفعل تأكد له ذلك ، من خلال حديث مختصر وطبيبها الخاص ، وقد أزعجه ذلك ازعاجا شديدا ، لقد أخبره الطبيب فى نبرة تقطر أسى : « لا شىء يشفى السيدة العجوز ، ربما تعيش بعض الوقت ، ولكن النهاية وشيكة بلاشك ، حينما تمر بمرحلة معينة سوف لا ترغب فى الحياة ، لا أحد حينئذ يتمنى أن يمتد أجلها » .

بالطبع انزعج هلرى انزعاجا شديدا ، لقد هيأ القدر له منزلا ، يأوى اليه ويعيش فيه ، الآن يغدر به ويلقيه خارجه ، وأوشك أن يعيش فى هذا العالم ثانية وحيدا .. قال ـ بينه وبين نفسه ـ : ليس هناك الا شىء واحد يمكننى عمله .. اختار احدى الأمسيات ، التى كانت عمته تشعر فيها

بتحسن ملحوظ ، وسألها بأدب شديد عن تفاصيل وصيتها ..
حينما سمعت كلمة (وصيتها) ضحكت بصـوت عـال ..

وقـالت :

ـ بالطبع فعلت ، لقد تركت كل أموالى الى ... ، الآن ، ماذا كان ؟ ، لمن تركتها ؟ ، بعض الناس المتدينين بالصين على ما اعتقد ، أو ربما فى بولينزيا (ماليزيا) .. لا أستطيع التذكر الآن ، السيد بلنكنثوب المحـامى سـوف يخبرك عن ذلك ، فهو لا يزال يحتفظ بالوصية ، اعتقد اننى كنت متدينة جداً وأنا فتاة .

ـ هل كتبت هذه الوصية وأنت فتاة يا عمة ؟ .

ـ نعم ، عندما كنت فى الواحدة والعشرين ، أمرنى جدك بكتابة وصيتى ، لقد كان يؤمن تماما أن كل انسان يجب عليه أن يفعل ذلك ، لم أكن أملك أموالا فى ذلك الحين ، ولذا لم تكن الوصية ذات بال .

امتلأ هلرى بالأسى حينما سمع التفاصيل الأولى ، ولكن عينيه لمعتا بالسعادة لحظـة خاطفة ، وسرعان ما تساءل :

ـ ألم تكتبى وصية أخرى حينما تزوجت ؟ .

هزت عمته رأسها فى شبه يأس ، وقالت :

ـ كلا •• لم يكن هنـاك داع ، لم أكن أملك شـيئا ، وبروثرو هو الذى كان يملك كل شىء •• بعد موتـه أصـبح عندى الكثير •• ولكن لا علاقـة لى بالأموال •• ماذا أفعـل بالمـال ؟ ! ، هل ترى وحالتى هـكذا أن أهتم ، أو استمتع بشىء •

ونظرت لهلرى بعينين جامدتين ، وأردفت :

ـ ربما يجب على أن أتحدث الى السيد بلنكنشوب ثانية ، ما رأيك فى هذا ؟ •

رد هلرى باقتضاب :

ـ ليس هناك داع للعجلة يا عمة •

ثم غير الموضوع متحدثا فى أشياء أخرى •

فى صباح اليوم التالى ذهب الى المكتبة العامة ، اختـار كتابا بعينه ، أكد له الكتـاب ما كان يعتقده : « عندما تتزوج فتاة تفقد وصيتها الأولى قيمتهـا تماما ، ويجب كتابة وصـية جديـدة ، وان كانت لم تفعـل تذهب أموالهـا الى أقرب الأقرباء ••• » •

فرح هلرى ، بل زغردت الفرحة فى قلبه ، فهو يعرف جيدا أنه أقرب الأقرباء الى عمته ، وها هو ذا المستقبل صار آمنا ،

رغم أن مضى الأيام والشهور كانت تزيد مشاكل هلرى خطورة •• ولكن التغيرات فى حالة عمته الصحية أكدت بما لا يدع مجالا للشك ، أن الطبيب كان على حق ، فقد أوت الى الفراش ومكثت به ، وكان واضحا أنها لن تستطيع النهوض ثانية ، وكان هلرى فى الوقت نفسه يحتاج الى المال بشكل ملح ؛ كان ذوقه فى المأكل والملبس ذا تكلفة عالية ، صار مدينا بالكثير لأصحاب المحلات ، أولئك الذين يثقون به لثراء عمته ، لكن فواتير حساباتهم أصبحت مثيرة للقلق ، ولسوء حظه كانت عمته فى ذلك الوقت مريضة جدا ، لم يكن من السهل التحدث معها ، وهى بطبيعة الحال لم تكن ترغب الحديث فى الأمور المالية مطلقا ، كانت فعلا تعانى آلاما فظيعة تطرد من عينيها النوم ، اضطربت أعصابها ، تغضب وتثور بسبب وبلا سبب ، ويجن جنونها اذا حدثها أحد عن المال •• وقد حدث ذات يوم خلاف كبير بينها وبين هلرى حول مبلغ تافه ، واتهمت العمة هلرى بمحاولة نهب أموالها ، لم يغضب هلرى فقد كان يقدر ظروف مرضها واضطراب أعصابها ، كانت فعلا تتصرف بشكل غريب ، وهى تعانى آلام المرض •

تذكر هلرى حديث الطبيب ، ورنت كلماته الأسيانة فى

أذنيه ، وتعجب من مشكلته الجديدة ، هل من الرحمة آلا يرغب فى أن تمتد حياة عمته مدة أطول ؟ ، أم من الأفضل آلا تموت الآن ؟ •• فكر فى هذا طويلا ، حتى عندما أوى الى فراشه وجد نفسه لايزال يفكر ويفكر ، ويمعن التفكير •

فى الصباح أخبرته ، انها تنوى أن تبعث فى طلب السيد بلكنثوب المحامى •• اذن تنوى كتابة وصية جديدة ــ هكذا قال لنفسه ــ لم يكن واثقا أن الوصية الجديدة ستكون لصالحه •• من المحتمل أن تهب أموالها لشخص آخر وخاصة بعد ذلك الخلاف ، الذى حدث بشأن ذلك المبلغ التافه •• ماذا بوسعه أن يفعل حينئذ ؟ •• لم يمكث طويلا على هذه الحال ، سرعان ما وصل الى قرار واضح محدد ، يجب عليه أن يسلك سلوكا ، بدا له غاية فى الطيبة تجاه العمة المسكينة : كانت تتناول كل ليلة دواء حتى تنام ولو بعض الوقت ، قرر هلرى مضاعفة الجرعة ، طبعا لم يكن فى حاجة أن يذكر لها شيئا عن هذا ، نعم يمكنه أن يجعلها تنام الى الأبد ، ووجد أن الأمر سهل التنفيذ ، خصوصا أن عمته لم تكن تبدى أى اهتمام أو سعادة لخططه المستقبلية ، ومن ثم راح يردد ــ بينه وبين نفسه ــ ما أسهل أن أنفذ ما أريد ، ما أسهل أن أنفذ ما أريد •

كانت هناك خادمة عجوز تقوم على تمريضها ، وقد أمرت عمتـه تلك الخادمة أن تخرج من الغرفـة •• بالفعل خرجت ، وانصرفت لأداء بعض شـئونها الخـاصـة ، بعد أن جهزت الدواء طبقـا لأوامر العمـة ، ثم يتولى هلرى اعطـائه اياها فى الوقت المناسب كما جرت العادة طوال الأيام المـاضية ، لم يكن عليه سـوى أن يضـع المزيد من الدواء فى الكوب •• لو حـدث شيء أخرق ، يمكنـه الايضـاح ، وتبرير مسـلكه بكل سهولة : يمكنـه القول بأنه لم يفهم طريقة الاستعمال ، لم يكن يعرف أن الخادمة وضعت الدواء ، لذلك فقد وضـع الجرعة المناسبة فى الكوب ، ولسوء حظه أن الكميـة كانت كبيرة جدا ، ولكن من يجرؤ أن يشك فى العزيز هلرى ؟ •

أخذت عمته الكوب من يده ، وهى تنظر اليه بامتنان :

ــ شكرا يا هلرى •• لا أرغب فى شيء سـوى أن أنام ، ولا أصحو ثانيـة أبدا ، هذه هى أمنيتى الكبرى •

ثم نظرت اليه نظرات ثابتة ، وقالت :

ــ أليس هذا ما تتمناه يا هلرى ؟ ، لقد أعطيتك الفرصة•• سامحنى لو كان شكى فيك خاطئا ، فالمرضى غالبا ما تنتابهم مثل هـذه الوساوس ، أنت تعرف ذلك •• لو عشـت الى الغد ، أقصد لو عشت الى الصباح فسوف أفعل شيئا جيدا وجميلا

لك ، السيد بلنكنشوب المحامى سيحضر صباح غد ، وسأكتب وصية لصـالحك ، واذا مت الليـلة لن تحصـل على أى شىء أيها المسكين ، أناس بالصين سوف يحصـلون على كل الأموال على ما أظن ، وربما للايضـاح أعرفك بأن جون بروثرو لم يتزوجنى مطلقـا ، فقد كانت له زوجتـه ، ولم يكن باستطاعته الزواج ثانيـة ، وهـذا ما جعـل والدك الأحمـق غاضـبا منى دائما .. لا .. لا يا هلرى ، لا تحـاول أن تأخـذ الكوب وتنحيه بعيدا ، لو فعلت ذلك فسوف أعرف ، وأنا لا أريد أن أعرف ، تصبح على خير يا هلرى .

مرت الدقائق بطيئة ثقيلة .. وبهدوء وحـذر شديدين رفعت الكوب حتى لامس شفتيها ، ثم شربته دفعة واحدة .

أســبوعان فيما وراء مستشفى بشوردتش

للأديب الانجليزى : روبرت روبنس

Two Weeks Beyond Shoreditch

Robert Rubens

● عن المؤلف :

روبرت روبنس : اصــدر مجموعــة قصــص قصيرة ، ظهرت قوية ، وصمدت فى مجال المنافسة ، وهى مجموعة « الأصوات I» .

وقصــة « اســبوعان فيمــا وراء مستشــفى بشوردتش » هى أولى القصص التى ظهرت للكاتب : روبرت روبنس عام ١٩٦٥ ، ولكنه حينما كان يكتبها كأن يكتب ـ ايضــا ـ كتابا كبيرا .

وقصــة « اســبوعان فيمــا وراء مستشــفى بشوردتش » نشرت فى كتاب « قصص الشتاء ٩ » ، وهى مجموعة قصصية تحوى قصصا لثمانية كتاب آخرين ..

أسبوعان فيما وراء مستشفى بشوردتش

قاسيت آلام المرض طوال اليوم .. حينما نظرت نفسى فى المرآة رأيت وجهـا شاحبا ، كنت كجسـد ميت ، ولذا ذهبت استشير طبيبى الخاص ؛ ارع هارلى ، كنت حقا مريضـا بدرجة تمنعنى من التفكير فى تكليف الاستشارة .

الطبيب فرانكلين روث نظر الى نظرة سريعـة ، ثم قـام بفحوصه المعتـادة ، أخبرنى : انى أصبت به ، نعم لقد أصبت باليرقان ، سيطر ذلك الشعور بالاشمئزاز أو العداء .

ــ اليرقان ! .. بكيت .

قـال الطبيب :

ـ نعم •• أسترح بالمستشفى لمدة أربعة أسابيع •

قـلت :

ـ لا يمكننى تحمل تكاليف مكان ذى تكلفة مرتفعة •

اتصل هاتفيا بأماكن عديدة ، وكنت اسمع كلمة « اليرقان » فى كل مرة •• وأخـيرا وجـد سريرا فى مسـتفى فيما وراء شـوردتش ، اسـتقللت تاكسـيا وعدت الى منزلى ، التقطت بعض الملابس وقليلا من الكتب •• ثم توجهت الى شوردتش •

كان يوما باردا كئيبا ، ومنظر المستشفى مرعبا ، كانت مشيدة بكتل مستطيلة من الأحجـار الحمراء ، فحص جسـدى طبيب هندى طويل ، سأل أسئلة قليلة محددة •• ضغط باصبعه على معدتى ، وسألنى عن عمرى ، وعن تاريخ الاصابة بالمرض •• كنت مرهقا ، وأشعر بضعف عام ملحوظ يجعلنى لا أستطيع التحدث طويلا ، أنهى كلامه قائلا :

ـ هل أصبت بهذا المرض ، وأنت صبى ؟ •

أجبته اجابات مقتضبة •

دثرونى فى شىء ما دافىء •• وأخـذت الى قسـم آخـر غـرفتى هنـا تسـمى « كبسـولة » وهى عبـارة عن مهجع

صغير فى حجرة نوم كبيرة بالدور الأرضى ، مجزأة بسواتر زجاجية شفافة ، من خلال نافذتها شاهدت حديقة صغيرة مزروعة ببعض الحشائش .. أويت الى فراشى فى الغرفة الكبسولية ، وسرعان ما رحت أغط فى نوم عميق .. استيقظت بعد عدة ساعات ، وضوء الشمس يغمرنى ، وكان بمقدورى سماع أصوات بالردهة .

حوائط الكبسولة زجاجية ، تفصلنى عن الأخرين حاملى العدوى ، كان الوضع كما لو كنت راقدا فى فاترينة عرض أحد المحلات ، الناس يمرون ببطء ، وينظرون الى بغير اكتراث ، هناك بابان زجاجيان عليهما ستائر غير مفرودة ، ولذلك قمت من فراشى وفردتها ، دخلت فجأة ممرضة نحيفة مندفعة :

ــ يجب ألا تغادر الفراش مطلقا .

ــ كنت أود سحب الستائر فقط .

ــ غير مسموح بفرد الستائر فى فترات النهار ، يجب أن تظل بالفراش ، هذه تعليمات خاصة بحاملى العدوى ، انهم يبقون بالفراش طوال الوقت .. فهمت ؟ .

رتبت أغطية الفراش .. ثم قالت :

ــ لا تغادر الفراش .

ومشت خارج الكبسولة •

شعرت بجفاف حلقى ، نظرت حولى باحثا عن أى نوع من الأجراس ، أردت استدعاء الممرضة ، لم يكن هناك أية أجراس ، رأيت الممرضة تندفع عبر الردهة ، لوحت لها ، نظرت لى نظرة واحدة ، وواصلت اندفاعها ، مرت على الباب ، رأتنى بوضوح ، وأنا ألوح ، ولكنها لم تدخل •• هناك صنبور مياه فى طرف الغرفة ، انتظرت حتى أتأكد أن أحد لا يرانى ، وأخذت بعض الماء من الصنبور :

ــ قلت : غير مسموح لك بمغادرة الفراش •

ــ كان لابد أن آخذ جرعة ماء •

ــ هذا الصنبور ليس لك ، فهو خاص بالأطباء والممرضات، يجب أن يغسلوا أيديهم قبل الخروج من الغرفة ، فأنت مصاب باليرقان ، ويجب ألا تستخدم هذا الصنبور •

ــ لكننى حاولت جذب انتباهك ، رأيتنى ألوح ، أليس كذلك ؟

ــ أنا الآن فى وردية بعد الظهر ، ومشغولة تماما ، شرب الماء فى فترة تقديم الشاى •• ثم هذا ليس من عملى •

يجب أن تطلب ذلك من ممرضة أخرى •

رتبت أغطيـــة الفراش ، وغسلت يديهـــا بماء الصنبور ، ثم خرجت .

وقف شـــاب أصـــلع ذو أنف حـــاد مســـتندا على باب الكبسولة .. قال :

ــ حسنا ، مساء الخير ، هل كل شيء على ما يرام ؟

كانت يداه متشابكتين كما لو كان يصلى :

ــ تدحرجت الى الجانب الآخر من السرير ؟ .

قلت بسرعة :

ــ كــلا .

ــ آه .. أنا آسف ، ما المشكلة ؟ .

ــ هذه الممرضة هى المشكلة ، تحب الايذاء .. أخبرها أن تظل خارج الكبسولة .. لا أريدها .

ــ ولكنها يجب أن تدخل ، أنه عملها .

ــ نعم ! ، تأتى الى هنـــا سمجـــة ، لا تريـــد اعطـــائى كوبـــا من المـــاء .. وقالت : يجب أن تطلب ذلك فى وقت تقديم الشـــاى .

ــ آسف لذلك .

نظر حوله فى ارتباك ، ثم أردف :

ــ سوف أتحدث معها بهذا الخصوص .

رتب الستائر ، ونظر من النافذة ، ثم شبك يديه ثانية ، وسرعان ما انصرف .

دخلت امرأة تنظف الكبسولة . قالت :

ــ انه السيد أوفاى ، المسئول هنا ، يا له من رجل لطيف . كانت ترتدى ثوبا أخضر باهتا وقلنسوة .. نظفت الكبسولة فى دقائق معدودة ، وقبل أن تغادرها التفتت تتحدث ، تتحدث مثل شخص ما من وسط أوربا :

ــ كل شىء على ما يرام ، لن يكون الوضع سيئا هنا ، خاصة بعد أن تقضى فترة معنا ، وتتعود علينا .

يأتى المساء بوجبة خاصة للمصاب باليرقان .. لا دهون ، فقط بعض شرائح الدجاج الباردة .. أعطونى مشروبا باردا بعد مضى ساعة تقريبا ، ثم أطفئت الأنوار .

فى صباح اليوم التالى هز أحدهم ذراعى فى تمام الساعة السادسة ، ووضع فنجانا من الشاى على المنضدة ، بعد ساعة أخرى وصلت ممرضة أخرى لم أرها من قبل ، قامت بتنظيفى ببعض الماء البارد ، والمدهش أنها احتفظت بالسرير

جافا نظيفا ، وسرعان ما أصبحت باردا كالثلج ، قلت لنفسى : كل هذا خطأ الطبيب روث ، وحينما كنت أفكر فيه دخل السيد أوفاى ، وقد أحضر معه طبيبا هنديا يدعى « ليبل » صاحبه رجل آخر ، هو الطبيب « ديلمان » ، كان يبدو أنه رجل مهم ، أحد أولئك المسئولين عن المستشفى كلها وقفا بمحاذاة حافة سريرى بينما كان السيد أوفاى يغلق كل الستائر نظرا الى صدرى ، قال الطبيب « ديلمان » ، وهو رجل سمين ، فى حوالى السبعين من عمره :

ـ صباح الخير ، كيف حالك ؟ .

ـ فى أسوأ حال .

ـ نعم وجهك مصفر قليلا .. أليس كذلك ؟ ، ولكنك لست كذلك طوال الوقت .

وضع ابهامه تحت عينى ، وفحص صدرى ، همس لنفسه بشىء .. ثم تحسس معدتى ، ودون شيئا فى دفتره ، تحدث بصوت خفيض الى ليبل .. ثم قال :

ـ السيد أوفاى أخبرنى أنك تشكو من المرضة .. هل هذا حقيقى ؟ .

كان فى تلك اللحظة واقفا بمحاذاة حافة سريرى تماما .

ــ نعم شكوت ، فهى سمجة وغير متعاونة .

ــ لم يشــك أحد من ممرضاتنا ! ، هــذه الممرضــة على الأخص ذات سجل وظيفى نظيف ، أظنك قد أخطــأت . أنت تتصــور انها ســمجة ، المرضى عــادة يتخيلون أشــياء لا وجود لها .

ــ هذا هو المهم ، أنا مريض ، وهى ليست متعاونة على الاطلاق ، انها سمجة جدا .

ــ فعلا .. حينما يصــاب الانســان باليرقان فانه يغضب لأتفه الأسباب ، يجب أن تفهم ذلك .

ــ وأنا متأكد أنك على حق ، لذلك يجب أن تكون الممرضة أكثر تعاونا .

ــ لدى كل الأسباب ، التى تؤكد أنها ممرضة جيدة جدا.

ــ أنى لك أن تعلم ؟ ، هل سبق أن تولت رعايتك وأنت مريض ؟ .. أقولها لك : انها سمجة ، ولا تبدى أى استعداد للمساعدة .. لا أريدها هنا .

ــ لا يمكننا تغيير خططنا كى تلائمك .

وبسرعة ركز نظراته فى عينى مباشرة قائلا :

ــ أريدك أن تعتذر .

ـ لن أعتذر ، لم أفعل شيئا يوجب الاعتذار .

ـ انها تستحق اعتذارا منك ، لقد أغضبتها .

ـ أغضبتها ؟ ! ، ماذا تحاول أن تفعل ؟ هل عادة تتشاجر وهؤلاء الذين يأتون الى هذه المستشفى ؟ .

ـ أنت لست ذلك النوع من الشباب ، الذى أحبه ..

ـ وأنا لا أرغب فى وجود نوع شخصيتك هنا ، لا أريدك فى كبسولتى . اخرج ، أخرج .

صرخت :

ـ هذه كبسولتى أخرجوا جميعا .

فرك السيد أوفاى يديه بقلق وتوتر ، وهو يقود الطبيبين خارج الغرفة .

لم أدر ما سوف يحدث ، كنت هلعا تماما ، لم أكن أرغب فى الاقامة ، ولكن من المحتمل أن تكون المستشفى جيدة ، ومثل أية مستشفى أخرى ، لم أحبذ فكرة التغيير فى ذلك الوقت

فى اليوم التالى دخل على روث طبيبى الخاص ، مرتديا حلة أنيقة .. قال :

ـ هذا ليس بالمكان السيىء ، من المحتمل الا تحصل على رعاية أفضل فى أى مكان آخر •• ولكن هنـاك مشكلة ، لقد جرحت مشـاعر ديلمان ، أخبرنى بالأمس انهم يودون اخراجك وأنا ليس بامكانى ايجاد سرير آخر فى أى مكان •

قـلت :

ـ لكنه أتى هنا ، وراح يناقشني بحـدة ، ويريدنى أن اعتذر لمرضة شكوت منها •

ـ الآن استمع لى جيدا ، انه رجل عجوز ، وسوف يحال على المعاش قريبا ، وأنت جرحت مشاعره ، اذا أردت البقـاء هنا فعليك بالاعتذار ، وان لم ترغب فبامكانه أن يجعل حياتك مخيفة تماما •

كان روث حكيما بارعا حقا ، باستطاعته أن يهدىء المواقف الصعبة ، كان واضحـا أنه طيب خـاطر الطبيب ديلمـان ، وجعل الأمر سـهلا كى اعتذر لذلك ازدردت كرامتى ، وطلبت محادثة الطبيب ديلمان ، والحقيقة لقد تصرف الرجل كما لو كان نسى حماقتى وتطـاولى عليه ، قبل اعتذارى ، ومنحنى أطيب أمنياته باسترداد صحتى قريبا •

حينما هدأت العاصفة بدأت قراءة وكتابة الخطابات ، كان واضحا اننى سـوف أمكث بالمستشفى طويلا ، وبدأت أحادث المرضـة •• فى حوالى العـاشرة والنصف كل صـباح تأتى (برثا) ـ وهذا اسمها ـ حاملة أغطية على ذراعيها ، وتبدأ فى تنظيف غرفتى رغم أنهـا لم تكن متربـة أو متسخة ، لكنهـا تنظفها بعناية ، كان شعرها يتطوح تحت قلنسوة المرضـات ، وبعيون تتقد حماسا تعد الغرفة من جديد ، تعمل كفتاة صغيرة رغم أنها تجاوزت الأربعين :

ـ الشمس جميلة جدا ، تجلب النور لقلبى •• والزهور جميـلة •

كانت تسقى أحد النباتات ، المهـداة ، قلت وأنـا لم أرفع عينى عن كتابى :

ـ فعلا •• يوم جميل •

ـ ثمانية شهور ، ثمانية شهور انجليزية طويلة ! •

وضعت الكتاب جانبا •• سألت :

ـ ماذا سيحدث فى الثمانية شهور ؟ !

ـ ثم نصبح أحرارا •

التفتت ناحيتى •• لوحت بالملابس المتسخة •• وقالت :

ـ أحرار فى أن تتجلى أسرار الشرق ، ونستمتع بكشـف غموضـه .

ـ هل أنت راحلة الى الشرق ؟ .

ـ نعم .. لكننى يجب أن انتظر من أجل متعلقاتى ، كل يوم كنت أكتب لوالدتى فى « سيلز بيرج » أسألها الموعد ، الآن عرفت أنه خلال ثمانية شهور ستبيع متعلقـات ما قبل الحرب ، أملاكى الخاصـة .. لا أريد الاحتفاظ بها فى سيلز بيرج .. لن تصير موطنى بعد الآن .

سـألت :

ـ الى متى ستغيبين ؟

ـ سبع سنوات ، حينما أعود ستكون كما لو كنت أزور بلدة أجنبية ، النمسـا كمـا كانت من قبل ، كانت مختلفـة عندما كنت فى عمر الطفولة ، أنا أكره العودة اليها ثانية .

كانت تحتل جزءا من النافذة .. قالت :

ـ عملت فى أحد المنازل بويلز لمدة ثلاث سنوات ، كنت أذاكر طوال الوقت ، دائما أعمل على تحسين مستواى وتثقيف نفسى ، أذهب الى فصـول مسـائية ، وحينما أحصـل على قيمة متعلقاتى سأتوقف عن العمل هنا ، سأذاكر طوال الوقت ،

ربما أتعب كثيرا ، لكننى أحب بل أعشق التعليم • فى تلك اللحظة وصل السيد أوفاى ، وقال بصوته المرتفع كالعادة :

ــ لم يعد لونك مصفر ، لقد قــال « ليبل » ان اليرقان عندك أصبح معتدلا •• ربما تكون مضطرا للبقــاء هنــا لمدة أسبوعين فقط •

قلت مسرورا :

ــ أنا سعيد لسماع ذلك •

قال السيد أوفاى :

ــ اننى متعب للغاية ، لم أنم سوى أربع ساعات بالأمس ، لقد انتقلت الى مســكن جديد ، وظللت يقظــا حتى الساعــة الرابعة والنصف منشغلا بوضع الأشياء فى أماكنها •

ــ ســألت :

ــ أين يقع المسكن الجديد ؟

ــ فى ستبنى ، كان مؤثثــا ، ولكن ليس به أطبــاق ، وكان لابد من الخروج لشراءها •

ــ هل تتقاسم المسكن مع أحد ؟ •

ــ نعم ، لا يمكننى العيش بمفردى ، لو حاولت فان هذا

سيدفعنى للجنون ، عشت بالمستشفى هنـا لمدة عامـين ، ولكن ذلك لم يكن مثل العيش بمفردك ، هنا آناس يمكننى مقابلتهم والتحدث اليهم •

نظر فرأى من خلال الزجاج الطبيب ليبل انصرف قائلا :

ــ سآتى فى وقت لاحق •

بعد انصرافـه ثبت فى مكانى ، والتقطت كتابا ، وبدأت القراءة •• ثم سمعت صرخات من الكبسولة المجـاورة ، رأيت من خلال الحاجز الزجـاجى فتى صغيرا ، يقفز لأعلى ويهبط لأسفل فوق سريره ويصرخ ، وجورج الممرض يشخط فيه ، ذلك الآتى من أسبانيا ، لقد وضع الفتى فى سريره بالقوة •• ثم جاء الى كبسولتى :

ــ هذا الفتى « تونى » المجنون ، هنا منذ فترة طويلة لهذا يصرخ ، ثمانيـة أسـابيع بهـذه الكبسـولة كالحيـوان فى القفص ، لكنـه حيوان صغير وقوى ، ويمكنـه الصراخ جيـدا •

قـلت :

ــ ولمـاذا مكث هنا مدة طويلة ؟ ماذا به ؟ •

ـ انه تحت الملاحظة •• لقد كان مريضا ، والأطباء غير راضين عن حالته •

جورج قصير ، وشعره يشبه شعر الايطاليين •• قال :

ـ مكان سـيىء للأطفـال ، بل سـيىء بالنسـبة لأى شخص •• الى متى تظل هنا ؟ •

ـ لمدة أسبوعين تقريبا •

ـ لمدة أسبوعين ! •• كلا انها تستغرق مدة طويلة ••

تعود على هذا المكان •• اذ لم تفعل سوف تصبح قريبا مثل تونى ، وستصرخ مثل طفل ، كيف أصبت باليرقان ؟ ، هل تعرف ؟ •• الافراط فى الشراب ، هل تشرب كثيرا ؟ •

قـلت :

ـ لا •• ليس كثيرا •• أليس ميكروبا يصيب الانسان ؟ !

ـ نعم •• نعم ، لكن أين ألتقطه ؟ •

وفجأة جرى خارجا من غرفتى دون استئذان •

بعد صراخ تونى لم تعد عندى رغبـة فى القراءة ثانيـة

تقلبت ممرورا بالفراش •• كتبت خطابا أحمق الى شخص ما ، كنت قد نسيته تقريبا ، لم أره منذ سنوات عديدة •

أعظم حدث اليوم كان وجبة أسماك مملحة •• أوشكت فترة الظهيرة على الانتهاء •• تونى يتقلب مرارا أمام عينى ، حضر قليلون لزيارتى ، كان مصرحا لهم بالبقاء لمدة ثلاثين دقيقة فقط ، وكان يجب عليهم ارتداء معاطف بيضاء طويلة •• سرى عنى المذياع قليلا ، وساعدنى بالطبع على تحمل البقاء بهذه المستشفى •• بدأت انتظر زيارات برثا قلقا ، لقد اعتدت على مشيتها بالكبسولة بوجهها البهيج ، فهى تمجيد للجمال الانجليزى ، بهجة التعليم وعشق السفر •• سقت النباتات وتحدثت عن غابات النمسا ، بدأت فى تنظيم وترتيب الغرفة بمجرد أن بدأت الحديث ، حكت عن رحلات المشى خلال الجبال ، ووصفت أيام دراستها بالجامعة فى « هيدلبيرج » ، تمنت وقتها أن تكون طبيبة ، لم تنظر — ولو مرة واحدة — فى عينى بشكل مباشر ، تنظر الى الستائر أو الى أصابعها فقط .

قالت :

— أربع مرات نزل فيها خطيبى بالمستشفى ، الآن يمكنه فقط الاستلقاء فى الفراش •

سألت :

— ماذا كان يعمل خطيبك قبل أن يمرض ؟ •

— كان يعمل بمستشفى فى الآلات الكهربية ، وهو صاحب خبرة فى هـذا المجـال ، لكنه لم يكن متعافيا بدرجة كافيـة للعمل المتواصل •

سـألت :

— متى تتزوجين ؟ •

— قريبا •• سـوف يحدد الموعد قريبا ، حينما يسترد عافيته ، قلت له : اننا سوف نأخذ جزءا من أموالى ، أقصـد الأموال التى ستأتى من بيع ممتلكاتى •• ثم يمكننا القيـام برحلة رائعة معا ، لكنه رفض ، انه حقا رجل انجليزى محترم ، لا يمكن أن يستغل أموالى •• ولكن عندما تتزوج سـوف أقنعه •• سوف نسافر الى اليابان •

أحضرت خريطـة للشرق ، بدأنـا نخطط لرحلتهـا من « هونج كونج » الى كوريا ، كل يوم كنا نتدارس ذلك سويا•• لقد حفظنا أحجام المدن والأماكن الشيقة ، ودرسنا أسـعار الفنادق والمطـاعم •• أحضرت أيضـا كتابين عن طوكيو من مكتبة المستشفى ، قرأتهما جيـدا ، وأعددت قائمـة بالأماكن الأثريـة ، التى يجب زيارتهـا ، ووضعت عليهـا علامـات

بخريطة اليابان .. درست برثا القائمة .. وذات يوم أخبرتنى بجميع الأسماء عن ظهر قلب .

ـ سوف يحبها ، وستكون رائعة بالنسبة له .. ستبدو كعالم آخر (لو رأيت حضـــارة أخرى فسوف تفهم حضارتك بشكل أعمق) ، ذلك ما قلته له ، ولكنـــه ضحك فى وجهى ، ساخرا لن يضحك عندما يكون باحدى هذه المبانى الرائعة ، وستجعله شخصا جديدا .. خطيبى الفقير سوف يكون أحسن كثيرا .

أحضرت كتابا عن تايلاند ، لوحت لى به .. وقالت :

ـ سوف أقرأ هذا الليلة ، غدا ستساعدنى كى نخطط لرحلة تايلاند ، أليس كذلك ؟ .

فى احـــدى فترات القيلولة كنت مستلقيـــا فى فراشى ، أفكر ـ بينى وبين نفسى ـ ، حاولت أن أفهم لمـــاذا استمتع بزيارات برثا .. ثم رأيت الســـيد أوفاى ، يتحرك بهـــدوء فى اتجاه بابى .. قال :

ـ لقـــد تحـــــدثت وبرثـــا ، أخبـــرتنى انهـــا تحـــب التحدث اليك .

ـ حسنا ، وأنا أحب التحدث اليها .

قــال :

ــ امرأة عطوفة جدا •

ــ نعم •• هى كذلك •

ــ اننى أشعر بالأسى نحوها •

ــ لمــاذا ؟ !

ــ لقد عاشت حياة بائسة ، كانت بالنمسا أثناء الحرب ، وقد قتل معظم أفراد أسرتها •

ــ انها تحب الحياة بانجلترا ، وستتزوج قريبا •

ــ لست واثقا من ذلك ، ولا اعتقد أن خطيبها سيتزوجها، يحبهــا ، لكنــه غــير مســتعد للزواج ، فهو ليس من ذلك النوع من الرجال ، أنه يملك شيئا جيدا الآن ، وهو نفســه يعرف ذلك •

ســألت :

ــ ماذا تقصــد ؟

لقد تحملته الثــلاث ســنوات الأخيرة ، أخذته الى كل أوربا ، فى احــدى المرات اصطحبته لزيارة أسرتها بالنمســا ، وأقام هنــاك لمدة ستة شــهور ، ولم يدفع شــيئا لوالدتها ،

واضطرت برثا للعودة الى لندن من أجل عملها ، وكانت ترسل له نصف راتبها .. ثم أرسلت له تذكرة حتى يعود .

ــ ولكنه مريض .. أليس كذلك ؟ .

ــ آه .. بلى ، مريض ، ولكنــه ليس مريضــا بدرجــة تقعده عن العمل ، يمكنه القيام ببعض الأعمال الخفيفة لو أراد.. كنت هنــاك بالأمس لزيارتها ، انه يبدو قويا من وجهة نظرى ، كان جالسا يشاهد برامج التليفزيون ، ويشكو من طهى برثا ، والحقيقة انها طاهية ممتازة .

ــ ماذا يفعل طوال الوقت ؟ .

ــ يجلس يشــاهد برامج التليفزيــون ، يقرأ القصص بينما هى تعمل طوال الوقت هنا نهــارا ، لقد ظلا يعيشــان فى غرفتهما لمدة ثلاث سنوات .

ــ هى تعتقد أنه سيتزوجها قريبا .

ــ تعتقد ذلك منذ ثلاث ســنوات ، ولو لم تعتقد لكانت الآن فى عداد المجانين .

التفت .. ثم قال :

ــ ان ليبل هنا ، يجب أن انصرف فورا .

ـ اعتقد اننى فهمت جزءا من هــذا ، كــلام برثا عن الزواج كان حلما ، وكذلك الرحــلة الى الشرق ، وربما تكون أملاكها فى « سيلزبيرج » حلمــا أيضــا ، أسفت لهذا ، كنت دائما أفكر فى اسعادها ، ألمنى حديث الســيد آوفاى كثيرا ، كل أحــاديثى مع برثا تبخرت تماما ، لا يمــكننى تصــديق هذا على الاطلاق •• لم أستطع النوم تلك الليلة •• وســألت الممرضة أن تعطينى بعض الدواء •

فى صــباح اليوم التــالى أقبلت برثا بنظرات مبهجــة ، وراحت تقول :

ـ الآن صار عندى بعض الملابس الجديدة ، ذهبت بالأمس الى « ميل اند » واشتريتها ، رأيتها ذات يوم بأحد المحــلات منذ أســابيع ، بها زهور بيضــاء صــغيرة تغطى كل الثوب • ارتديتها لخطيبى كى يراها •• قال لى : انى أبدو فيها كفتاة صــغيرة •

ـ وهل اشتريت قبعة ؟ •

ـ كلا ، لقد أخذت قبعتى ، ورصعتها بزهور جديدة ، هــــذا أســهل وأوفر ، ابتســم خطيبى •• حينمــا رآنى بالفســتان ، أنه رجل لا يجيــد الاطراء ، ولكن بالأمس كان يمكننى رؤيته ، وهو سعيد حتى لو لم يقل ذلك •

روت النبات ، ثم لمسته .. قالت :

ــ أمس كان يوما رائعا ، كل شيء كان جميــلا حقــا ، عندى فســتان جديد ، وخطيبى كان ســعيدا .. بعد العشاء ذهبت لمشــاهدة برامج التليفزيون مع جورج الممرض ، السيد أوفاى حضر أيضا ، انهما يملكان مسكنا ظريفا .

ــ تقصدين السيد أوفاى ، الذى يعمل هنا؟

ــ نعم . هو وجورج ، الممرض الأسبانى ، أنت تعرفه ، لقد انتقلا للعيش بمسكن معا ، مسكن ظريف وجديد ، انهما سعيدان هناك .

نظرت تجاه الردهة ، وأفهمتنى انها لم تكمل بعد قراءة الكتاب عن تايلاند .. وبينما كانت تتباعد أندفع جورج داخلا، وبدأ بترتيب فراشى .. وقال :

ــ مازلت مصفرا ، انك تشبه الزهرة .

ــ أشكرك .. أحب أن أسمع هذا .

ــ لكن هذه حقيقة ، انك تزداد اصفرارا كل يوم .

ــ الطبيب ليبل يقول : انى اتحسن .

ــ ليبل مجنون .. ان عينيه سيئتان ، ولا يمكنه الرؤية جيدا ، أقولها لك انك مصفر .

قلت :

— جورج .. هل يمكنك أن تفعل شيئا من أجلى ؟ .

— بالطبع يمكننى فعل بعض الأشياء ، وليس كل الأشياء .. ماذا تريد أيها الولد الأصفر .

— سجائر .

— سجائر ! ، يجب أن تأخذ تصريحا من السيد أوفاى ، هل تعتقد اننى على استعداد أنأفقد عملى هنا من أجلك ؟ .

— لن تفقده ، سوف أعطيك المال ، أريد التدخين .

— لا .. لا .. يجب أن تطلب ذلك من السيد أوفاى ، فهو صارم جدا بهذا الخصوص .

كان على الانتظار ساعة بدون سجائر حتى يحضر السيد أوفاى .. حضر عاقدا يديه كعادته .. قال :

— يمكنه احضارها لك .

— قلت له انى أريد بعض السجائر .

— سيحضرها ساعة الغداء .. كيف حالك اليوم ؟

— بحالة جيدة .. وكيف حالك أنت ؟

ـ لست على ما يرام ، لقد تشاجرت ليلة أمس مع رفيقى بالسكن ، الرجل الذى يسكن معى يدفعنى للجنون ، يستيقظ فى الثالثة صباحا ، ويذهب الى المطبخ يطهو ، ويقول انه لا يستطيع النوم ، وأنا أحب أن استريح ، يجب أن أكون هنا فى الثامنة صباحا ، فضلا عن ذلك لم يدفع الايجار حتى الآن ، وكل الأغذية هناك تخصنى ، حينما يطهو فهو يطهو أطعمتى •

ـ وماذا ستفعل ؟ •

ـ أمرته بأن يرحل ، فأنا أدفع الايجار ، والمسكن باسمى ، لا يمكن تحمله أكثر من ذلك ، الآن يجب أن أدفع ستة جنيهات أسبوعيا بمفردى ، والحياة بالسكن بمفردى تدفعنى للجنون •

فى تلك اللحظة دخل جورج الممرض ، نظرا الى بعضهما نظرة تشى بالبغض ، ثم أخذ السيد أوفاى زجاجة الماء وخرج •

سأل جورج :

ـ ماذا قال ؟

ـ قال يمكنك احضار السجائر :

ـــ كنت أعرف أنه ربما يوافق ، ولكن من الأفضل أن تستأذنه ، هو رجل لطيف ، ولكن فى رأسه بعض الأشياء الغريبة .. ألا توافقنى ؟ .

أحيانا أثناء العمل اليومى ، كان على السيد أوفاى والممرض جورج أن يعملا معا ، اعدادهما للوجبات على سبيل المثال .. السيد أوفاى طويل ، ولا يمشى بخطا ثابتة ، كان يبدو مثل شجرة نحيفة فى مهب الريح ، كانا معا يذكرانى بالكاهن والطبيب الصغير ، السيد أوفاى ـــ على غير عادته ـــ راح ينتقل من كبسولة الى كبسولة يحكى حكاية المسكن وخلافه ورفيقه ، يود أن يشاركه شخص آخر المسكن .. ويختم كلامه قائلا :

ـــ هذا أمر يدفعنى للجنون ، لا يمكننى العيش بمفردى ، آكل بشراهة حتى يمكننى النوم .

جاءت برثا .. ثم قالت :

ـــ غدا يمكننى ترتيب الرحلة الى تايلاند .

كان وجهها مشربا بحمرة خفيفة ، وتسمع أجراس بانكوك طوال فترة الظهيرة ، وكان يمكننى ملاحظة كل ذلك بسهولة .

سألت :

ـ هل تحدثت اليوم الى السيد أوفاى يابرتا ؟ •• أنه غير سعيد ، وبحاجة لمن يفضفض اليه •

ـ ذلك الشيطان جورج ، يظل مستيقظا لفترة متأخرة من الليل ، ولكننى يجب أن أذهب الآن لانهاء عملى •• ويجب أن أذهب الى الفصل •

دخل جورج ، وألقى بالسجائر على الفراش •• قال :

ـ لقد شبعت من انجلترا •• سوف أذهب الى ألمـانيا ، وأتعـلم الألمـانية •• حينمـا أستطيع التحدث بالانجليزيـة والفرنسية والألمـانية يمكننى العمل بمطعم والدى •

ـ هـذا ما تنوى عمله ؟ •

ـ ماذا أيضا يجب على فعله ؟ ، ماذا يجب على فعله ؟ •

كرر الممرض ذلك ، وقال :

ـ هـذا هو سبب قدومى الى هنـا ، لقد أتيت لأتعلم الانجليزية والتحدث الى السائحين •

ـ هل أخذت كفايتك من انجلترا ؟

ـ انها قاسية مثل عنق الزجاجـة ، عندما أتيت أحببت لندن ، كانت تبدو مجنونة وبهيجة ، لكنها ليست كذلك ، بل

كئيبة كجنازة ، أعرف بعض الشبان الأسبان هنا .. كل مساء يذهبون الى المقاهى ، يحبون ذلك ، ويعتقدون أن لندن رائعة ، يسكنون جميعا فى مسكن واحد ، ثمانية شبان يقطنون مسكنا واحدا ! ، لا أحب الحياة هكذا ، ولا أحب سوى احتساء القهوة فقط .

ـ لكن لماذا تود مغادرة انجلترا ؟ .

ـ حان الوقت ، أتحدث الانجليزية الآن ، لذا يجب أن أرحل ، سأترك المستشفى ، وأذهب الى السينما لمشاهدة هيلين شابيرو ، تصبح على الخير أيها الولد الأصفر .

انطلق بالردهة ، ومر على السيد أوفاى دون أن ينظر أحدهما للآخر .. فى صباح اليوم التالى أحضرت (برثا) طعام الافطار ، قالت :

ـ انتهى الأمر ، لقد غادرا المسكن ، كان مسكنا جديدا جميلا ، وبه تليفزيون .

ـ تقصدين جورج والسيد أوفاى ؟

ـ نعم .. لقد أجبر جورج على الرحيل ، وهو الآن يبيع الأطباق .. ذلك الرفيق المجنون ، انفق كل أمواله على

الملابس •• لم يصبرا صديقين ، أنهما لا ينظران بعضهما ، هذا شيء فظيع •

ـ ظننت أنه سيتقاسم المسكن مع آخر •

ـ ربما •• لكنه الآن تركه ، وعاد للاقامة فى المستشفى ، هذا أمر سيىء •

رأيت جورج يدخل ويخرج من الكبسولات •• وضع رأسه فى باب كبسولتى •• قلت :

ـ جورج • تعال •• ماذا قررت أن تفعل ؟ •

ـ اعتقد اننى سأظل بانجلترا ، لا أعرف لماذا ؟ •• قررت هذا •• ربما غدا أغير رأيى •

دخل السيد أوفاى بينما كنت أتناول غذائى •• قال :

ـ تركت المسكن ، وعدت للاقامة بالمستشفى •

سألت :

ـ ماذا حدث للرفيق الآخر ؟ •• أعنى الذى كان يقاسمك المسكن •

ـ آه •• ذهب للعيش وبعض الرجال الأسبان المتوحشين

فجأة اندفعت برثا داخلة ، وأعطتنى مظروفا ، كان يبدو مهما .. وصلها من مكتب بريد لندن .

ـ لقد حدث .

بكت .. وقالت :

ـ لقد فعلها ! ، سيتزوجنى ، انظر الى المظروف .

قلت متحيرا ومندهشا فى آن معا :

ـ فعلا بخصوص الزواج .

ـ نعم ! ، يجب على أن أوقع الأوراق ، ان هـذا رائع ، كنت أشـعر أن هـذا سيحدث سريعـا ، لقد كتب ذلك دون أن يخبرنى ، مفاجأة رائعـة .. مدهشـة ، يجب أن أذهب الى المكتب وأرتب كل شىء .. اجراءات مملة تستغرق عشرة أيام ، هذا يوم من أسعد أيامى .. خلال أسبوعين سوف أصبح مدام جونسون .

ثم رأيتها وهى تهرول بالردهة ، وتلوح بالخطاب .. أرته للسيد أوفاى ، ثم أرته لجورج ، سررت لأن السيد أوفاى كان مخطئا بالنسبة لخطيبها ، كنت سعيدا حقا لأن بشرى الزواج هلت فى ذلك الوقت ، فقـد كنت أنوى مغـادرة المستشفى فى ظهيرة اليوم التالى .

بعد ساعة تقريبا دخلت برثا ، وكانت لاتزال ممسكة بالخطاب . قالت فى انكسار :

ـ ليس من أجلى .. الخطاب باسم (برثا بنير) .. أخطأوا وأرسلوه لى .. اسمى (برثا رنير) .. أعرف (برثا) الأخرى ، انها نمساوية أيضا ، وكانت تعمل هنا .. الآن بمستشفى أخرى .. سآخذه لها غدا .

ـ آسف لسماع ذلك .

ـ غلطة فظيعة .. انها غلطتى .

قالتها بابتسامة صغيرة شجاعة .. ثم أردفت :

ـ كان يجب أن أنظر بعناية أكبر فى المظروف .. ونحن لسنا مستعدين للزواج حاليا ، من الأفضل أن ننتظر بعض الوقت .. سوف تباع أملاكى قريبا .. سيكون من الرائع أن نأخذ بعض الأموال .. كم عدد المبانى الشيقة فى تايلاند ؟ .. أين الخريطة ؟ .. فردت الخريطة ، التى سبق أن وضعت عليها علامات خاصة بالرحلة .. تفحصتها برثا للحظات .. ثم روت النبات .. ثم رأيتها وهى تصب الماء ببطء على النبات . قلت :

ـ برثا ، هل تريدين هذا النبات ؟ .

ـ لكنه ملكك .

ـ لا أود آخذه ، خذيه عندما أغادر المستشفى •

ـ هل ستعطينى هـذا النبات الرائع ! ، سـوف يجلب النور الى غرفتى ، وخطيبى يحب الزهور كثيرا •

فى اليوم التـالى تركت المستشفى ، حـذرونى من كثرة الوقوف ، ونصحونى بأن اسـتلقى على ظهرى لمدة أسـبوع على الأقل •



كانت غرفتى الكبسولية كما تركتها منذ أسبوعين ، كان يجب أن أبقى بالمنزل ، وأن أذهب لفراشى مبكرا ، ولكن أحد الأصـدقاء اتصل هاتفيا ، طالبـا أن نخرج معا للعشـاء ولم أستطع مقاومة الدعوة ، شعرت بضعف فى قدمى •• ولكنى وجدت أتوبيسا ، صعدت ، واشـعلت سيجارة •• وحينمـا كان الأوتوبيس يسير فى طريق « هيث دين » لاحظت منظـرا مألوفـا لدى ، برئا تمشى على الجـانب الآخر من الطريق ، رأيتها للحظات خاطفة ، والأوتوبيس يدور حول منحنى •

كان لاتزال مرتدية ثيابها الخضراء ، وقد خلعت قلنسوتها، وراح شعرها يتموج والرياح ، بدت صغيرة وواضحة ، وهى تصعد طريق (هيث دين) حاملة نباتى الأصفر ، وتحـاول أن تحميه من هبات الرياح •

الحـــــلم

للأديب الانجليزى : فرانك تيلســلى

The Dream

Frank Tilsley

● **عن المؤلف :**

فرانك تيلسلى : ولد عام ١٩٠٤ م ، وقد مارس العديد من الأعمال أثناء حياته .

خـدم بالقوات الجويـة الملكية خـلال حـرب عـام ١٩٣٩ م .

ولد بشــمال انجلترا ، ولكنــه فضــل الحياة بالجنوب الانجليزى .

تحدث فى عدة موضوعات متنوعة بالاذاعة .

احب الأعمال اليه : تنسيق الحدائق ، ورياضة المشى ، وقراءة كتب التاريخ .

ظهر كتابه الأول عام ١٩٣٣ م ، ومنذ ذلك الحين توالت كتاباته .. ومن بينها : « اكره ان اكون ميتا » عـام ١٩٣٨ ، و « قصـة حـب جيلبرت برايت » عام ١٩٤٠ م ومجموعة قصص قصيرة بعنوان « اولاد كوستال » .

الحلم

هل يمكن أن نحذر فى حلم من تصرفات خطيرة ؟ .. اعتقد أن هذا أمر يصعب تصديقه ، فلو أمكننا رؤية المستقبل فى حلم بطريقة أو بأخرى ، عندئذ يتجسد المستقبل مؤكدا ، لو حدث مثل هذا الكان معناه : اننا لانملك الحرية فى تصرفاتنا ، ولسنا مسئولين عن حياتنا الخاصة .. كيف تكون تصرفاتنا ذات دلالة بالنسبة لأنفسنا أو للآخرين ؟ .

قبل أن أسرد تفاصيل الحلم دعونى أوضح لكم الأمر

فى فصـــل الصـيف ، منذ أربـع سـنوات ، كنت أقــود سيارتى مصطحبا عائلتى ، عائدا من ايطاليا عبر الجنوب الفرنسى، لم يكن ابنى قد تعـلم القيــادة ، وابنتى كانت صـغيرة على ممارسة القيــادة ، وزوجتى لا تقود ، ومن ثم وقع على عبء قيادة السيارة طوال الثلاثة أسابيع ، ربما كنت مرهقا ، ربما لم أعد أفكر فى شىء آخر سـوى السـيارات ! ، المدينـة التى قضينا فيها ليلة الحلم تسمى « تين لورمتاج » .

والآن أسرد تفاصيل الحلم : كنت جالسا فى سيارة كبيرة قوية ذات لون قشدى ، أقود بسرعة كبيرة على الطريق الزراعى، وصلت الى منحنى ، رأيت شاحنـة ضخمـة أمامى ، وجهت قدمى الى الفرامل ، ولكنها لم تلمس شيئا ، نظرت الى أسـفل لم يكن هناك فرامل بالمرة ! ، والأدهى من ذلك راحت يدى هى الأخرى تمســك بالهواء ، لم تكن هنــاك عجلة قيــادة ، لم يكن هناك أى نوع من التحكم ، بسرعة أطلقت بوق السيارة ، جاءنى صـوت هادىء من جانبى أدرت رأسى فرأيت شخصـا غريبا جالسا ، كان مبتهجا وفى متوسط العمر ، يرتدى قميصا حريريا ، وعلى رأســه قبعة حمراء ، لم أستطع فهم ما قــال ، لقد كان يتحدث الفرنســية بسرعة ، ولغتى الفرنسية ضعيفة لم اهتم بمــا قــال ، فقد كانت عينــاى مركزتين على يديــه

السمينتين النظيفتين اللتين أمسكتا بعجلة القيـادة .. هـذه السيارة عجلة قيادتهـا فى اليسار . هو ــ وليس أنا ــ كان مسيطرا على الموقف ، دار بأمان حول المنحنى ، أدار عجـلة القيادة بسلاسة ليجعل السيارة فى منتصف الطريق ، كان فى طريقه ليتخطى الشاحنة الضخمة ، الطريق مستو ومستقيم على مدى البصر ، كان لامعا فى ضـوء الشمس وخاليا تقريبا ، الا من شخص وحيد على مرمى البصر ، وامرأة تجلس خارج كوخ ذى حوائط بيضـاء ، ذلك الكوخ كان أمامنا بالضبط ، كانت تجلس وأمامها منضـدة ترتب فوقهـا بعض الزهور ، ودت لو تبيع بعضها ، لوحت لنا بباقة منها ، هـذه التلويحة لسبب ما أصابتنى بخوف فظيع .. لاحظت أن الزهور منسقة على شكل دائرة ، لقد كانت تشبه تماما تلك الزهور ، التى نضعها على القبور ، ذكـرتنى لحظتهـا بالموت ، فى تلك اللحظـة كنـا بمحـاذاة الشاحنة ، وكان من المفروض أن تتخطاها خلال ثوان قليلة ، ولكن عندئذ بدأت الشاحنة تنحرف عن جانب الطريق باتجـاه سـيارتنا ، وبدا لنا أن سـائق الشاحنة يفعل ذلك عمـدا ، الغريب الذى كان بجوارى شتمه بصـوت عـال ، وحاول أن يرتد بالسيارة ، خلال ثوان حدثت ضوضاء مزعجة من تحطم مؤخرة السـيارة ، ثم انفجر شىء ما ، بدت الأرض وكأنهـا انقلبت ، وصخب اللهب يهدر فى أذنى .. استيقظت ورحت أنز

عرقا ، انزعجت جدا بسبب هـذا الحلم ، ولم أستطع النوم ثانية ، وبدا كأنه يحذرنى من شىء ما ، وددت لو أعرفه .

حتى لو كانت التحذيرات ممكنة ، هـذا ليس له معنى فى حد ذاته ، مم يحـذرنى ؟ ! ، هـل يجب على آلا اتخطى أية شاحنة فى طريق خال .. الطريق الى باريس دائمـا مزدحم بالشاحنات الضخمة ، أغلبها تأتى من مرسيليا ، وعادة أتخطاها بسـلام حينما يكون الطريق خاليا ، هل يمكن للمرء آن يقود سيارته ببطء خلف تلك الشاحنات طوال الطريق ؟ ! .. لا .. اعتقد أن هذا لم يكن المقصود من الحلم .. ان أساسـه كان نوعا من الخوف ، ولذا يجب أن أحاول ايجـاد مبررات هذا الخوف ، ثم بعد ذلك يمكننى قتله والقضـاء عليه .. فكرت كثيرا فى كيفية قيـادتى خـلال الثلاثة أسابيع المـاضية .. حاولت تذكر كل الشاحنات وكل الأكواخ البيضاء ، وحاولت أن أتذكر كل السيارات المطليـة باللون القشدى .. لم أتذكر شيئا ذا بال .. لقد اعتقدت أن الطريق التى رأيتها فى الحلم بفرنسا ، لقد كانت بالفعل طويلة وخالية ومستقيمة ، ولكن عندئذ تذكرت اننا تخطينا الشاحنة من اليمين ، ولذا فالحلم يلمح الى طريق موجودة بانجلترا ، ففى انجلترا كل السـيارات تظـل باليسار .. فى تلك اللحظـة تذكرت شـيئا ما ، قبل عامين من

الواقعة كنت مسافرا عبر شمال انجلترا أنا وأمريكى ، كنا نعد بعض برامج للاذاعة ، لقد أحضر الأمريكى سيارته من أمريكا ، بالطبع كانت عجلة قيادتها فى اليسار ، وكذلك الفرامل وأجهزة التحكم ، ولكن لون سيارته لم يكن قشديا .

الحقيقة كان ذلك الأمريكى سائقا مستهترا ، عادة يتخطى السيارات فى وقاحة ، وبشكل مستفز برغم نصائحى المتكررة.. تذكرت ذلك ، وتذكرت اننى كنت فى موقع أفضـل للرؤية ، كنت جالسا باليمين .. ذات مرة خلف نوتجهام لعب « لعبـة الدجـاجة » .

و « لعبة الدجاجة » ــ اذا كانت لك رغبة أن تعلم ــ لعبة على الطريق ، وهى منتشرة بأمريكا لأن الرحـلات الطويلة عـادة ما تكون ممـلة ، عليـك فقط أن تحرك سـيارتك فى منتصف الطريق تماما وتظل هكذا ، وعندما تظهر سيارة أخرى آتية باتجاهك فى منتصف الطريق تبدأ اللعبة ، والسائق الذى يتخـلى عن منتصف الطريق يكون هو الدجـاجة ، وغالبـا لا ينسحب أى منهما بسهولة .

أفصحت له عن خواطرى حول مخاطر هذه اللعبة بألفـاظ قوية حادة كلغة أهل شمال انجلترا ، لم يلعبها ثانيـة ، ولكن

من المحتمل أن تكون تركت انعكاساتها على ذاكرتى ، ولذا حينما نمت رأيتها ثانية •• تذكرت أيضا شيئا آخر ، حينما كنت أتناول افطارى ، بعد أن لعب ذلك الأمريكى « لعبة الدجاجة » ، توقفنا فى « شسترفيلد » • لقد كان يوما عاصفا وغير عادى اشترى الأمريكى قبعة سوداء وليست حمراء ، ولكن فى الأحلام التفاصيل دائما لا تكون متطابقة •• بعد ذلك نسيت الحلم •

الشاحنات الفرنسية الكبيرة عادة تلعب لعبة خاصة بها ، فهى تظل فى منتصف الطريق ، ولا يمكن تخطيها ، يجب أن تظل خلفها ، فى بعض الأحيان تكون مجبرا على تتبعها لأميال عديدة على الرغم أن الطرق خالية بشكل أو بآخر ، فى فترة ما بعد الظهيرة كنا نتتبع شاحنة هائلة ، والتى كانت تحدث ضوضاء مزعجة ، ربما كانت معبأة بمدافع كبيرة •• حينما اطلقت البوق تحرك السائق الى جانب الطريق ، ولكنها كانت الناحية الخطأ ، تحرك يسارا بدلا من اليمين ، كانت هناك مساحة خالية باليمين تتيح المرور بسلام ، لكننى لو فعلت سأكون بالتأكيد قد سلكت السلوك الخاطىء ، لذلك اكتفيت بتتبعه لمدة ميلين ، وطوال الوقت أحدث نفسى بألا اتخطاه ، لقد أخذت الوضع بعين الاعتبار من كل الزوايا •• يمكننى بكل

تأكيد أن أجعل سيارتى أسرع من شاحنته ، فلقد كانت كبيرة وثقيلة •• هل يمكننى ؟ •• ربما مررت منه وتجاوزته بسرعة قبل أن يتمكن من فعل أى شيء •• لو انحرف الى اليمين فيمكنه بسهولة قتلنا جميعا ، قانونيا عليه أن يلزم الجانب الأيمن •• ربما كان يرغب قليلا من التسلية •• ولكن ربما كان راغبا فى حادثة ، سأكون الخاسر الوحيد فيها ، لو قتلنا فلن يتعرف علينا أحد ، ولن يلومه أحد •• ولكن بالنسبة لهذه الشاحنة الثقيلة يمكننى المرور منها بسلام ، ولن تكون هناك فرصة كى ينحرف باتجاهنا •

الطريق أمامنا كانت خالية تقريبا ولمسافة أميال ، قدت ببطء أكثر حتى فصلتنا مسافة ، ثم زدت من سرعتى الى أقصى درجة انطلقت باتجاه المسافة الخالية بجوار الشاحنة ، سيارتى كانت تنطلق بسرعة سبعين ميلا فى الساعة تقريبا ، مقدمة سيارتى كانت تقريبا بمحاذاة مؤخرة الشاحنة ، رأيت شيئا ما أخرج زفرة من جسدى ، هناك امرأة جالسة بجوار مائدة زهور خارج كوخ أبيض ! •• كانت المائدة موضوعة على العشب بجوار الطريق •

لأول مرة فى حياتى غيرت رأيى فى ذات اللحظة ، التى كنت أتخطى فيها الشاحنة ، تحركت قدمى لأسفل بقوة فى اتجاه

الفرامـــل ، تأرجحت الســـيارة ودارت حـــول نفســـها ، تنـــاهى الى ســـمعى بوق ســـيارة أخرى ، منطلقـــة فى اثرنـــا بسرعة كبيرة ، كانت ذات لون قشدى ، ضغطت على الفرامل بقسوة وأدرت عجلة القيـــادة ، أصبحت بالكاد خلف الشاحنة دون أن ألمسها ، تخطتنا السيارة الأخرى ، وأطلق سائقها بوقـــه بشدة ، وصـــل الى الشاحنة ، وفى تلك اللحظـــة اتجه ســـائق الشاحنة ناحيتها ، للحظة اعتقدت أن السيارة الأخرى يمكن أن تمر من الشاحنة بسلام ، فلقد كانت تتحرك بسرعة مدهشة . وعندئذ لمست مقدمة الشاحنة مؤخرة السيارة لمســـة خفيفـــة كانت كافية لكى تجعلهـــا تنحرف الى جانب الطريق ، اتجهت بسرعة نحو المرأة الجالسة بجوار المـــائدة .

ســـائق السيارة الأخرى كان حقـــا أحد ملوك الطريق ، أو قل : « ذو دربة كبيرة بالطرق ودرايـــة عاليـــة فى قيـــادة الســـيارات » ، فبمهارة فائقـــة أعـــاد ســـيارته الى منتصف الطـــريق . لو كنت مكانـــه ما استطعت ، تحـــكمه بالفعـــل كان رائعا ، لوح بغضب الى سائق الشاحنة ، وانطلق بسرعة مبتعـــدا خـــلال سحابة من التراب ، وسرعـــان ما اختفى عن الانظـــار .

أمضينا ذلك المساء فى « فوتتين بلو » سيارة كبيرة كانت

قابعة خارج الفندق ، ومؤخرتها مخدوشــة حديثا ، وذات لون قشــدى ، بحثت عن سائقهــا •• رأيتــه ، لم يكن يرتدى قميصا حريريا ، ولم تكن فوق رأســه قبعة حمراء ، كان شابا باريسيا ، لا يشبه السائق الذى رأيته بالحلم من قريب أو بعيد •

كان يتحدث الانجليزية بطلاقة ، سألته : لو كان يريد رقم الشاحنة ، فلقد ألتقطه ويمكننى اعطاءه اياه •• ولكنه اكتفى بالضحك •• أردف قــائلا : « القانون لن يساعدك اذا تخطيت سيارة من الجهــة الخطـأ •• لقد اعتبرت الموضــوع وكأنه لعبة •• مثل هذا يختبر مهارتك » •

ثم ركز نظراته فى عينى قائلا : « لو كانت سيارتك قوية بدرجــة كافيــة يمكنــك ذلك ، لكن لو حاولت بســيارتك ربما تفشل » ! •

لم أخبره لمــاذا ترددت ، فلم يكن هنــاك وقت لقد كان فى عجلة من أمره ، ويجب أن يصل باريس دون تأخير •

دعنى افترض اننى لم أتردد •• حسنا •

أنا لا أؤمن حقا بهذه الأحلام ، ولكن شيئا ما أنقذنا كلنا من نهاية مريعة •

الدميمـــان

للكاتبين الأمريكيين : وليام .ج. لدرر

ويوجين بردك

The Ugly American and

The Ugly Sarkhanese

W.J. Iederer and E. Burdick

أما قبل :

هذه القصة أخذت من كتاب « الأمريكى القبيح »، الذى ظهرت طبعته الأولى فى يوليو عـام ١٩٥٨ ، وقد أحدث ظهوره دويا ، بل انفجـارا فى الراى العـام الأمريكى فأعيد طبعه مرتين فى شهرى أكتوبر ونوفمبر من العام نفسه ، ثم طبعـات أخرى كان آخرهـا عام ١٩٦٦ . وقد قام الأستاذ ميشيل تكلا بترجمته الى العربيـة فى سلســلة « من الشرق والغـرب » ـ العدد ١٩ ـ وراجعه الدكتور ابراهيم جمعه .

والقصـــة لم تكن حقيقيـة ، ولكن الحقيقـة

أن الكتـاب قد توغلوا فى آسيا ، وتعرفوا على المكان وناسه ، وان كانت (سارخان) بلدة غير حقيقة الا انها تمثل حـال بلاد هذا الجزء من العالم .

وهذان الكاتبان الأمريكيان ، لم يكونا راضيين عما تفعله امريكا حينذاك ، وكان يتبدى لهما سـوء التخطيط الأمريكى ، ففى الوقت الذى كانت تحتاج فيه (سارخان) الى مضخات رفع المياه ، تبنى أمريكا طرقا طويلة وجيـدة خـلال الغابات ، حتى ولو لم توجـد سيارات تستخدمها ، وكان لزاما على أمريكا أن تخطط بشـكل بسيط وهـادىء ، كانت هـذه هى احـدى غايات الكاتبين من هذه القصة .

ويقرران أن الرجل الذى يذهب الى بلد اجنبى عليه أن يتعلم لغتها ، ففى هـذه القصـة (الدميمان) سنرى أن عمـدة القرية كان سـعيدا حينما حدثه هومر آتكنز بلغته ، وقد نجح آتكنز فى خطتـه لأنه يتحدث لغة أهـل البلد ، ولم يؤثر الحيـاة فى المدن الكبيرة ، فهو يعرف ما يحتاجه الناس ، يعمل بيديه، ويعيش حياتهم الواقعيـة العادية كواحد منهم .

هذه رسـالة يوجههـا الكاتبان لأمريكا ، وهى رسالة نقدية ، وان كانا يعترفان بأن هناك أمريكيين جيدين فى الخارج ، يقومون بأعمالهم على خير وجه ، ويحبون أن تتحسن أساليب التخطيط والعمل ، حتى يصبح العالم مكانا سعيدا للجميع .

جال السيد هومر آتكنز بنظره فى أنحـاء الغرفة غاضبا ، رجال آخرون يجلسون ، وقد ارتدوا حللهم الجميلة ، أعـاد النظر اليهم فى استياء ، هومر آتكنز هو الوحيد ، الذى لم يرتد ربطة عنق ، وهو المهندس الوحيد بينهم ، كان أحدهم سـفيرا .. ود أن يقول لهم : أنتم حمقى . ولكن ليس من السـهل أن يقول لسـفير ذلك ، الآخرون أيضـا مهمون فى حكوماتهم ، لذلك لم يستطيع أن يقول لهم شيئا .

قال : أيها السادة ، لقد طلبت الحضور لأسدى نصيحة

بشأن بنــاء الطرق وحركة الأرض ، هــذا هو عمــلى ، لقد أخبرتمونى :انكم تريدون بناء طرق ، ولكننى أعرفكم انكم لستم فى حاجة لأى منها ، لقد مكثت هنا عشرة أشهر ، وطفت بأرجاء البلاد ، وناقشت آلاف الأفراد ، ثم أرسلت تقريرى بهذا الخصــوص •

قال أحد الســادة الهادئيين : ولكنك يا سيد آتكنز لم تخبرنا بالمزيد عن الطرق ، وفى أى اتجاه يجب أن تكون •

ـ الطرق ! •• لا تحتاجونها ، تحتاجون أشياء أخرى ، يستطيع الناس هنا صنعها ، أشياء صغيرة ، ولكنها مفيدة ، ماذا يستفيد الناس من طرق خاصة بالجيش ؟ •• ألا يمكنك التفكير فى غــير الطرق ، فقط الطــرق ولا شىء ســواها ، اخــرج وتجول فى أنحــاء البلاد ، وعاين بنظرك الأحوال ، ستجد هناك بعض الناس الطيبين ، ابن لهم مصــانع ، دعهم يقومون بتعليب الطعام ، أنس الطرق حتى تمتلك مزيدا من المــال •

ـ سيد آتكنز ، هذا ليس من شأنك ، لقد طلب منك أن تحدد أين تشق الطرق ، لم يسألك أحد رأيك اذا كنت تفضــل شق الطرق أم بنــاء المصــانع ؟ هــذا النوع من الحديث له ناسه ، الذين سيقرون ما هو أصلح ، وليس أنت •

ـ من الذى يجب أن يقرر ؟ .. أناس أمثالكم ؟ .. من منكم تجول فى البـلاد وعايش ناسـها ؟ ، مـاذا تعلمون عن القرى ؟ .

ساد الهـدوء لحظـة ، سـأل آثكنز : من منكم طاف بأنحاء البلاد ؟

ساد الصمت مرة ثانية دون أن يكسره أحد ، وغطت حمرة الخجل عديدا من وجوه السادة بالغرفة .

قال آثكنز :

ـ هل هنـاك مصنع لصناعة الطوب ، دع بعض الناس يستخرجون الأحجار ، هنـاك الكثير من الأحجـار الجيدة ، يمكن استخدامها فى البنـاء ، يمكن استخدام التربة الجيـدة القريبة من الساحل .

ـ هذا عمل رجال الزراعة ، أنت لا تعرف شيئا عن التربة أنت رجل تنشىء الطرق .

قال آثكنز :

ـ حسـنا .

نهض وخرج من الغرفـة ، ولكن السفير خرج وراءه ، تبعه بضع خطوات وقال :

ــ تعال •• لنحتس شرأبا •• اننى أتفق ووجهة نظرك فى الأشياء التى تتحدث عنها •

قال ايشكنز ، وهو يضحك ضحكة ساخرة :

ــ لكن لا أحد آخر يتفق •

قال السفير :

ــ سـيد ايشكنز ، هل ترغب فى الذهاب الى سرخان ، منطقة بها العديد من التلال ، تزرع المحاصيل هناك فوق مصاطب التـلال ، أهـل تلك المنطقة يتجشمون المتاعب حتى يرفعوا مياه الأنهار للحقول ، الحقول أعلى التلال تحتاج المياه ، ولكنه عمل شاق وبطيء ، هل يمكنك مساعدتنا فى حل هذه المشكلة ؟ هل يمكن أن تجد طريقة لرفع المياه الى المصاطب ؟

ــ ربما ! •• ربما •

أخذ ايشكنز قلم رصاص وراح يرسم •• واصل كلامه :

ــ انكم تحتاجون الى طلمبة بسيطة •

ظل مشغولا حوالى خمس عشرة دقيقة ، لم يتحدث • كان مستغرقا تماما ، ولكنه قال :

ــ حسنا ، ربما يكون هذا شيقا ، وربما يكون هـذا شيقا جدا •

بعد أسبوعين تقريبـا ، طار السيد ايشكنز وزوجتـه الى سرخان ، زوجته « ايما » كانت تقريبـا على نفس درجة دمامة زوجها .. ذهبا للعيش فى كوخ صغير بالقرب من « هيد هو » ، أرضية الكوخ لم تكن سـوى القشرة الأرضـية ، صـنبور واحد للمـاء ، وآلاف الحشرات ، وفتى سرخانى فى حـوالى الثامنة من عمره ، عيناه سوداوان ، يدعى « أونج » يظهر حوالى السادسة صباحا ويمكث معهم طوال اليوم .

كانت « ايما ايشكنز » تستمتع بحياتها فى سرخان ، تحب العمل بمنزلها ، تحافظ عليه دائما فى صورة جيدة طيبة ، لا يقل جودة أو نظافة عن منازل جيرانها ، وكان هومر ايشكنز مشغولا بفكرة تصميم طلمبته ، طلمبة للمياه ، تدار باليد ، بدأت تتبلور الفكرة ببطء فى مخيلته .. الناس تحتـاج طلمبات جيدة لرفع الميـاه لحقولهم ، كانـوا يستخـدمون دلاء ، أحد الرجـال يرفع الدلو الى المصطبة ، وآخر يفرغها .. السرخانيون يفعلون ذلك منذ سـنوات وسـنوات . وهم بطبيعتهم لا يحبـذون فكرة التغيـير ، ولا يرون ضرورة لذلك ، ومن ثم تحتـم على ايشكنز أن يجد طريقـة أفضـل لرفـع الميـاه تغرى هؤلاء السرخـانيين بالتغيير . الطلمبـة البسـيطة تحتـاج ثلاثـة أشـياء : أولا يجب أن توجـد مواسـير رخيصـة ، وهـذه

ليست مشكلة ، يمكن صنع المواسير من الخيزران ، وهو موجود بكميات وفيرة فى هذه المنطقة . ثانيا : الطلمبة نفسها يجب أن تصنع وهذه المشكلة أيضا أمكن حلها ، فخارج العديد من القرى السرخانية حطام سيارات الجيب القديمة ، التى ألقاها الجيش ، ولم يعد فى حاجة اليها ، أخذ ايشكنز مكبسا من احداها ، ونزع أسطوانة من أخرى ، أمكنه تركيب الاسطوانة والمكبس معا ، المكبس يستطيع مص المياه بصورة جيدة ودفعها الى مسافة ثلاثين قدما .

أما المشكلة الثالثة لم تحل ، يجب ايجاد شىء ما يدير الطلمبة .. تحدث الى زوجته بخصوص هذه المشكلة قائلا :

ــ لابد من ايجاد ذلك هنا فى سرخان .

ثم أردف موضحا :

ــ لا أرغب فى جلب أى شىء من الخارج .. لأننى لو فعلت ذلك فربما تكون التكلفة عالية ، وربما لا يفهمه السرخانيون ، فمعظم الفلاحين لم يسافروا للخارج ..

سألت ايما :

ــ لماذا لا تعطى لهؤلاء الناس الوديعين بعض المحركات

الجيدة ؟ ، انك تمتلك أموالا كثيرة فى البنك ببيتسبرج ، انك غنى بما فيه الكفاية .

قــال :

ـ أنت تعرفين السبب ، عندما نعطى انسانا ما شـيئا فى مقابل لا شيء ، فأنه لا يحبه ولا يتعاطف معه ، لو أردنا هـذه الطلمبة أن تعمل كما ينبغى ، فيجب أن تكون طلمبــة سرخانية مائة فى المــائة . لو أعطيتهم جزءا منها فقد يظنونها طلمبتى .

ابتسمت ايما بحنان الى هومر ، ثم استدارت ونظرت من النافذة ، رأت بعض السرخانيين على دراجاتهم ، يقودونهــا كالمعتاد باتجاه السوق فى « هيدهو » .. راقبتهم للحظات قليلة ، ثم استدارت فجأة ، وعيناها مملؤتان بالاثارة :

ـ لمــاذا لا تستخــدم الدراجــات ، الملايين منهـــا فى هــذا البلد ، ومن المؤكد أن بعضــها يتعطل ويهمــل ، ألا يمكنــك اســتخدام أحد أجزاء دراجــة قديمــة لادارة الطلمبــة .

نظر ايشكنز الى وجــه « ايمــا » جلس مكانــه ببطء ، وقال فى هدوء :

ـ اعتقد انك وجدت الاجابة ، أيتها البنت العجوز ..
يمكننا نزع العجلات من الدراجات القديمة .. يمكننا استخدام سلسلة لتحريك المكبس لأعلى ولأسفل فى الاسطوانة .. يمكننى تصميم ذلك ، نعم ! هذا يمكن عمله .

بدأ يدور فى أرجاء الغرفة ، استدارت ايما ، وقد كست وجهها ابتسامة رقيقة لتكمل طهوها .. بعد لحظات قلائل سمعت صوت القلم ، وهو يتحرك فوق الورقة ، فقد راح يرسم شيئا ما .. ظل لمدة ساعتين يرسم ، بعد ساعة أخرى بدأ يشرب البيرة ، حينما جاء وقت العشاء كان قد شرب كثيرا من البيرة ، حوالى ست زجاجات ، قال :

ـ اعتقد انى وجدت الحل .

وبدأ يشرح لها الآلة ، لكنها أجلسته ليتناول عشاءه ، كان يأكل بسرعة ، ويتكلم عن رسوماته طوال الوقت .. راقبت ايما زوجها بحنان ، فقد كانت فخورة به ، وتصبح سعيدة حينما يكون سعيدا ، فهى اليوم تحس السعادة حقا .. قالت :

ـ كف عن شرب البيرة يا هومر ، ولا تنس أنها فكرتى.

صرخ :

ــ فكرتك ! ، أيتها المرأة ، أنت مجنونة ، لقد كنت أفكر فيها طوال الوقت وأنت لفت نظرى فقط •

بعد مضى يومين تمكن من صنع نموذج للماكينــة ، كل جزء منها صناعة محلية ، لا داعى لجلب أى شىء من أى مكان ، هنــاك دراجــات قديمــة كافية لصنع ألفى طلمبــة ، ولكن كان عليــه أولا أن يصنع طلمبتين فقط ، بحيث تعمــلان كما ينبغى ، فى تلك اللحظة قدمت له ايما بعض النصائح المفيدة :
ينبغى ، فى تلك اللحظــة قدمت له « ايما » بعض النصــائح المفيــدة :

ــ والآن • اســمع يا هومر ، لا تندفع كرجــل بدائى ساذج ، حاليا صار لديك ماكينة جيدة ، وأنا فخورة بك ، لكن السرخانيين لن يستخدموها لمجرد أنها جيدة ، دعهم يستخدمون الآلة بأنفسهم وبطريقتهم الخاصــة ، اذا حاولت اجبــارهم لن يستخدموها •

ــ حسنا ، خبرينى ماذا أفعل ؟

كان يعرف أنها على حق •

بهدوء وضحت « ايما » خطتها لهومر ، وفهم أنها فكرت فى ذلك بعض الوقت ، وكانت حقــا فكرة جيــدة ، تمنى لو أن رجال الحكومة أمكنهم سماع هذه الخطة •

فى اليوم التالى بدأ فى تنفيذ الخطة ، قاد سيارته الجيب الى قرية صغيرة من « شانج دونج » ، هناك حوالى مائة شخص يسكنون من خمسة عشر الى عشرين منزلا ، القرية مقامة على أحد مدرجات التل ، على بعد ستين ميلا من « هيدهو » ، تربتها خصبة غنية لكنها فقيرة ، عملية رفع المياه الى المصاطب عمل شاق مزعج ، كانوا مرتفعين بشكل كبير عن النهر ، مما يستهلك وقتا كبيرا فى رفع المياه ، الرجال فى « شانج دونج » كانوا دائما متعبين . سأل ايشكنز بأدب عن منزل عمدة القرية ، تحدث الى الرجل بلغته ، الذى كان فى حوالى الخامسة والسبعين ، كان عمدة القرية سعيدا بايشكنز الذى يعرف لغتهم ، فقد كان أثناء الحديث يساعد ايشكنز ليجد الكلمات المناسبة .. أخبر الرجل أنه مهندس أمريكى ، وعرفه أنه صنع نوعا جديدا من الطلمبات ، يمكنها رفع المياه الى المصاطب ، ويريد أن يطورها . لم يشأ ايشكنز أن يشرح للرجل شيئا عن الطلمبة ، لأنه ببساطة ليس مهندسا ، أعرب فقط عن رغبته فى تصنيع وبيع الطلمبات ، وطلب من عمدة القرية أن يجد له سرخانيا ماهرا ، وأفهمه أنه يريد رجلا يعرف بعض الشىء عن الآلات ، وسيجزل العطاء نظير وقت ومهارة هذا الرجل ، ويمكنه أيضا مشاركته أرباح المشروع .

فهم العمدة الأمر بوضوح ، وشرعا يناقشان أجر الميكانيكى الجديد ، كبير القرية والسيد ايثكنز سرعان ما تفاهما واتفقا ، وتصافحا بالأيدى ، وخرج العمدة ليحضر الميكانيكى .

عاد ومعه رجل ضئيل الجسم ، لكنه يبدو قويا ، أسمه جيبو ، أطلق عليه هذا الاسم لأنه ماهر جدا فى اصلاح السيارات الجيب بالذات ، لم يستمع ايثكنز الى كلمات العمدة بتركيز ، فقد كان مشغولا بتفحص الميكانيكى وأعجبه مظهره بشكل عام .

بدا جيبو قذرة مثل يدى ايثكنز ، نظر جيبو بثبات الى السيد ايثكنز ، وها هو ذا عالم الميكانيكا ملىء بالمكابس والاسطوانات مما يجعلهما يتحدثان معا بشكل طيب ، كان هذا واضحا تماما ، وكان جيبو دميما مثلما كان السيد ايثكنز ، ابتسم كل منهما للآخر ، قال ايثكنز :

ــ العمدة قال : انك ميكانيكى جيد ، هل عملت فى شىء آخر غير السيارات الجيب ؟ .

ابتسم جيبو :

ــ عملت فى الطلمبات ، السيارات ، الدراجات ، والقليل من الطائرات الشراعية .

ـ هل فهمت كل شيء عملت به ؟

ســأل جيبو :

ـ هل يفهم أى شخص كل شيء ، اعتقد بامكانى العمل مع المــاكينة ، ولكن هذا مجرد رأى • جربنى •

قــال ايشكنز :

ـ سوف نبدأ ظهر اليوم ، هناك الكثير من المواد الخام فى سيارتى خارج المنزل ، سنخرجها ، ونبدأ العمل حالا •

عند منتصف الظهيرة كانا قد فعلا الكثير ، عشرون قدما من أنابيب الخيزران قد جمعت معا ، قاع الأنبوبة وضــع فى النهر بالقرب من القريــة ، والجزء العــلوى قــد وصــل بالطلمبــة التى صممها ايشكنز ، غــلاف احــدى الدراجــات القديمــة كان موضوعا فوق الطلمبة ، وقد نزعت العجلتان ، جمع جيبو هذه الأشياء معا بنفسه ، دون مساعدة السيد ايشكنز ، كل شيء كان جاهزا فى نهاية الظهيرة ، شرب ايشكنز بعضا من البيرة ، انتظر كبير القرية واثنان أو ثلاثة آخرون فى هدوء كانوا يقفون بجانبه ، يشــعر أنهم فى حــالة اثارة بالغة ، بالطبــع فهموا الغرض من الآلة ، لكنهم لم يصدقوا أنها سوف تعمل •

قال جيبو بصوت خفيض :

ـ سيدى الآلة جاهزة ، وأنا جاهز لادارة دواسات الدراجة ، عليك أن ترى اذا كانت ستعمل أم لا •

أومأ ايشكنز موافقا ، قفز جيبو على الدراجة ، وبدأ يدير الدواسات ، اشتغلت الطلمبة ببطء ، أدار جيبو الدواسات بحركة أسرع ، تحركت السلاسل أسرع ، وأحدثت الأنبوبة ضوضاء غريبة بضع ثوان ، لم يكن هناك صوت سوى صوتها ثم فجأة أندفع من فوهة الأنوبة بعض الماء القاتم القذر ، لم يتوقف جيبو عن تحريك الدواسات أو الابتسام ، وعمدة القرية والآخرون فى قمة الاستثارة •

قال العمدة لايشكنز :

ـ آلة رائعة جدا ، خلال دقائق قليلة رفعت كمية كبيرة أكبر مما نستطيع رفعها فى خمس ساعات •

لم يرد ايشكنز ، كان ينتظر رأى جيبو ، فقد أحس أن جيبو لم يكن راضيا ، واصل جيبو ادارة الدواسات ، وهو ينظر بأسفل الى الآلة ، رأى أن هناك تغيير يجب أن يحدث وأراد أن يستدعى السيد ايشكنز ليخبره به ، وحينما غطى الحقل الصغير بالمياه نزل عن الدراجة ، وقال :

ـ آلة جيـدة يا سـيد ايشكنز ، ولكنهـا لا تصـلح لهذا البلد .

نظر ايشكنز اليه فى ثبات ، وسأل بلهفة :

ـ لمـاذا ؟ .

لم يرد جيبو مبـاشرة ، دار حول الآلة دون أن يحدث صوتا ، ثم توقف وواجه ايشكنز ، قال :

ـ الآلة تعمل بشـكل جيد ، ولكن الرجل الذى يريد واحـدة يجب أن يمتلك دراجتين ، يا سـيد ايشكنز قليـل من الناس من يملك دراجتين . وأنت تعرف أنهم فقراء .. الا اذا وجدت طريقة أخرى لادارة الطلمبـة ، للأسف آلتك البارعة ليست ذات فائدة .

شعر ايشكنز للحظة بالغضب ، ولكنـه كبح جماح غضبه عندما تذكر نصيحة « ايما » .

وسـأل جيبو :

ـ ماذا حدث لكل هذه الدراجات القديمة بهذا البلد ، ألا يوجد ما يكفى منها لادارة الطلمات ؟ .

رد جيبو :

ـ لا توجد دراجات قديمة اننا نستعمل الدراجات حتى تتحطم ، وحينما يلقى الرجل دراجته فأنها تكون مستهلكة تماما .

سـأل ايشكنز :

ـ اذن ماذا تفعل يا جيبو ، انك ميكانيكى ماهر ، ولابد أن تكون لديك بعض الأفكار .

لم يعط جيبو أى جواب ، جلس فى الحقل ونظر الى الآلة الغريبة ، لم يقل شيئا مدة عشر دقائق ، ثم نهض وسار ببطء نحو الآلة ، قلب الدواسات ولاحظها ، ثم عاد الى مكانه .

كان العمدة يشـعر بالقلق ، وهو يراقب وجه ايشكنز ، جيبو كان يتصرف فى شموخ ، قال كبير القرية : بعد ذلك لن يحترمهمـا أحد ، حينما سـمع جيبو ذلك احمرت اذناه ، أراد ايشكنز أن يضحك ، ولكنه سار باتجـاه جيبو وجلس بجواره جلس الرجلان لمدة خمس عشرة دقيقة هادئين يتدارسان الآلة ، تحدث ايشكنز أولا فقال :

ـ ربما أمكننا صنع غلاف خارجى للآلة من الخشب .

ـ الاطار الخـارجى رخيص .. الأجزاء الأخرى هى التى تكلف كثيرا .

جلسا معا عشر دقائق أخرى ، عمدة القرية والرجال الآخرون كانوا يثرثرون طوال الوقت ، لكن ايشكنز لم يقل شيئا ، نهض جيبو وسار حتى وصل الآلة ، قلب الدواسات ، فكر فى ستة حلول للمشكلة ، ولكنها كانت عديمة الجدوى .

حينما هبط الظلام نهض جيبو ، واتجه الى الطلمبة ، وبدأ يحرك الدواسات بسرعة ، اندفع الماء من فوهة الأنبوبة وفجأة صاح بفكرته الى ايشكنز :

ـ أرى أن اطارا خارجيا آخر يجب أن يصنع ، يمكن صنعه من أخشاب الصنوبر ، هذا الاطار الخارجى يجب أن يصمم بحيث يحمل فوقه دراجة عادية ، عندئذ يمكن لعجلتها الخلفية ادارة الطلمبة ، وهذا يحتم حدوث تغيير بسيط فى الآلة بعد ذلك يصير كل شىء ممكنا ، فكل عائلة عندها دراجة تستخدمها فى تنقلاتها ، يمكن وضعها فى الاطار المصنوع من أخشاب الصنوبر ، وبالتالى تدير الطلمبة ، دراجة واحدة يمكنها عمل شيئين ، تستخدم لتنقلات العائلة ،وادارة الطلمبة .

أبدى ايشكنز سروره ، وقال للرجل الكبير :

ـ هذا الميكانيكى قام باكتشاف عظيم ، الدراجة يمكن استخدامها على الطريق ولادارة الطلمبة ، فكرة جيبو جعلت كل

شىء ممكنا ، يجب أن يحصـل على نصف الأرباح من هـذا العمـل .

تحدث العمدة بكلمات قليلة للرجال الآخرين ، ثم استدار الى ايشكنز وسأل :

— هـل أنت وجيبو ستقومان ببناء هذه الطلمبات ؟ .

— نعم أود العمل مع جيبو ، سنبدأ فى اقامة مصنع ونصنع هذه النوعية من الطلمبات ، وسنبيعها لمن يطلب شراءها ، ومن يريد الشراء لن يدفع ثمنها دفعة واحدة ، يمكنه دفع الثمن على أقساط تمتد لثلاث سنوات ، جيبو عليه أن يعمل بجد ، أن يعمل بمثل الجد الذى أعمل به .

لم يبد على العمـدة التـأكد من جدية ايشكنز ، دارت مناقشـات كثيرة ، وظل جيبو صامتا ، يقف أمام الآلة يلمسـها بين الحين والحين ، ثم تركهـا وتحـدث الى العمـدة قائلا :

— لقد استمعت اليكم جميعا ، ولم أقل شيئا ، أنتم جميعا عواجيز مخرفون ، هـذا الأمريكى يعرف كيف يعمل بيديه ، لقد صنع هذه الآلة بهما ، أنتم لا تفهمون الآلات ، ولكننى والسيد ايشكنز نفهم بعضنا ، سألتحق بالعمل معه .

بدا على عمدة القرية الخجل ، ولكنه قال :

ـ جيبو مصيب تماما ، يمكننا الثقة بهذا الأمريكى •

قــال ايشكنز :

ـ حينمــا نصنع بعض الطلمبــات سنطبع كتيبــات عنها توضح كيف تصنع ، وكيف تعمل ، وسنرسل هذه الكتيبات الى كافة أنحــاء البلاد ، وستحظى قرية « شانج دونج » بشــهرة عظيمــة •

بعد يومين أســتأجر جيبو والسيد ايشكنز مبنى فى طرف القرية ، وأستأجرا اثنى عشر رجلا للقيــام بمهام العمل ، وفى خــلال أســبوع ســار العمل على قدم وساق ، وقد وضعت لافتة صغيرة على باب المبنى كتب عليها « شركة جيبو وايشكنز المحدودة » •

كان جيبو وايشكنز يعملان ثمانى عشرة ، أو عشرين ساعة يوميــا ، يدربان الرجــال ، يعمــلان بجــد وحمــاس حتى أصابهما ارهاق شــديد ، وأصبحا يتملكهما الغضب لأتفــه الأســباب ، وصارا يستخدمان أســاليب سيئة وأدوات سيئة فى العمــل •

انتقلــت « ايمــا » ايشكنز من « هيــدهو » الى قريــة « شانج دونج » تشترى الطعام من القرية وتطهوه فى مسكنها ، ثم تأخذه الى المصنع ، وسيدات القرية يفعلن مثلها •

ذات يوم حضر رجل معهم الى المصنع وتحدث بجدية الى ايشكنز قائلا :

ـ السرخانيون يجب ألا يستعملوا الآلات ، لم يفعلوا ذلك من قبل ، ولا يجب أن يفعلوه الآن .

رد ايشكنز :

ـ هذا ما أفكر فيه بالضبط .

قاد الضيف الكبير سيارته ، وهو محمر الوجه ، وينظر بغضب ، عاد ايشكنز الى عمله ، فى نهاية ستة أسابيع صنعوا ثلاث وعشرين طلمبة ، وحينما أصبحت الرابعة والعشرون جاهزة ، جمع ايشكنز العمال وواجههم هو وجيبو ، قال جيبو :

ـ الآن نحن مقبلون على أصعب مرحلة فى هذا العمل ، لقد عملنا جيدا لنصنع هذه الطلمبات ، وعلينا الآن بيعها ، كل واحد منكم يجب أن يأخذ طلمبتين ، ويخرج ليأتى لنا بأوامر الشراء ، حاولوا بيع الطلمبات ، التى سوف نصنعها ، كل واحد يعرض الطلمبتين اللتين معه للبيع ، ومن يبيع طلمبة سيأخذ عشرة بالمائة من ثمنها ، راق للرجال هذه الخطة بالطبع ، كانت جديدة عليهم ، ولكنهم كانوا على أتم الاستعداد لتجربتها .

فى صباح اليوم التالى كانت هناك اثنتا عشرة عربة تجرها الدواب ، تقف أمام المصنع ، حملت طلمبتان على كل عربة ، وفى الساعة الثانية عشرة تقريبا توجهت كل واحدة الى منطقة ، أما الذين بقوا فى المصنع كان عليهم أن ينتظروا ، ليحصلوا على الأوامر لتصنيع الطلمبات ، سيصير المصنع عديم القيمة بدون هذه الأوامر ، هذا المصنع أضحى شيئا مهما لأهالى « شانج دونج » لا يرغبون اغلاقه •

مرت أربعة أيام ، ولم يعد أحد من الرجال ، سحابة حزن غشت هؤلاء الذين ينتظرون •• فى صباح اليوم الخامس عاد أحد الرجال ، كان يقود عربته بسرعة كبيرة برغم صعوبة ذلك ، فالثور الذى يجرها كاد يسقط ، الوحل يتطاير فى الهواء مع دوران العجلات ، كل واحد فى القرية أسرع الى المصنع ، يود أن يعرف ماذا سيحدث ، كانت العربة ملطخة بالأوحال وفارغة ، هبط الرجل الذى كان يقودها من فوق مقعده فى بطء ، كان يشعر بأهميته ، سار بهدوء باتجاه جيبو وايشكنز ، وقف أمامهما قائلا :

ـ أود أن أبلغكم أننى اقترفت ذنبا •

لمعت ابتسامة بطيئة على وجهه ، وواصل كلامه :

ـ لقد أخبرتمونى أن أعيد اللمبتين ثانيــة ، لكنى لم أفعل ، لقد تلقيت أوامر لصنع ثمان طلمبــات ، ولكن رجلين أرادا طلمبتهما فى الحــال ، كانا يحتاجان المــاء بشكل ملح ، المحصولات كانت ميتة تقريبا ، كنت لا أود اعطاءهما الطلمبتين، ولكنى كنت مجبرا على ذلك ، آمل ألا أكون ارتكبت خطــأ

كل واحد من الجمــاهير نظر الى جيبو وايشكنز ، نظر هذان الرجلان القذران لبعضهما لحظــات ، ثم فجــأة صرخا بسعادة ، كل الجمــاهير هللت ، كل واحــد فى القرية غمرته السعادة ، بدأ حفل كبير بهذه المناسبة ذهبت كل القرية اليه .

فى الصــباح التالى نهض الجميــع مبكرين ، وكان أول المستيقظين جيبو وايشكنز ، وسرعان ما سمعت أصوات المطارق ذهب أهــل القريــة ونظروا ، جيبو وايشكنز كانا فى منتصف مناقشة عنيفة ، يتناقشان فى تطوير الطلمبــات ، فى الوقت نفسه كانت « ايما » ايشكنز تضــع طعام افطار فخم أمام الرجلين ، لكنهما لم يعيرا الطعام أى اهتمام . واستمرت المناقشة بينهما بصوت صاخب .

حدث بالقرب من البحيرة

للأديب الانجليزى : جون كولير

It Happend Near A Iake

John Collier

● **عن المؤلف :**

جون كولير : ولـدم عـام ١٩٠١ م بمدينـة « كارلتون » ، وعلم نفسه بنفسه .

وقد تضمنت أعماله الأدبية : « توم — بارد » عـام ١٩٣٣ م ومجموعة أخرى متنوعة من القصص الطويلة الخصبة ، وكتب أيضا القصص القصيرة فضلا عن بعض قصائد الشعر .

وكان شـغوفا بتنسـيق الحـدائق وقد عاش بالولايات المتحدة الأمريكية ...

السـيد يسـلى فى الخمسين من عمره ، ذات يوم وهو يحلـق ذقنـه ، نظر وجهه فى المرآة فبدا شـكله كالجرز .

همس :

ــ « لقد تقدمت بى السن » .

فكر فى ذلك صامتا ، لكنه قـال ــ بينه وبين نفسه ــ : بماذا أهتم ؟ .. أنا لا أهتم الا بماريا وها هى ذى قد وصلت الى أعتاب الشيخوخة .

أنهى ارتداء ملابسه ، وأسرع هابطـا درجات السـلم ، يعانى قلقا ما ربما بسبب تأخره فى تناول طعام الافطار •

بعد الافطار مباشرة كان عليه أن يذهب ليفتح حانوته ، وهذا فى حد ذاته يجعله مشغولا حتى العاشرة مسـاء ، فهو لا يربح الكثير ، لذا كان يعمل لفترة طويلة ، أحيانا تأتى ماريا الى الحانوت ، وتكشف له أخطاءه مستهزئة ، دائما تفعل ذلك حتى فى وجود أناس غرباء •

حقا كان يحس بقليل من الراحة لفترة وجيزة كل صباح ، حينما يفتح الجريدة ويقرأها ، هاربا من حياته الرتيبة الخاليـة من الشعور •• ربما يمكنه أن ينساها •

وفى أيام العطلات كان يستمتع بوقته أكثر من سائر الأيام، فقد كان يتسلم نسخته من « عجائب العلم » • وهذه النسخة كانت ترسم له طريقا مثاليا للخروج من متاعبه ، وتبعده الى حد ما عن جو حيـاته اليائسـة ، فعن طريق مجلة « عجـائب العلم » يفر من بيته الممل الى بلاد رائعة وأماكن جميلة •

* * *

فى هـذا الصباح بالذات وصلت أنباء رائعة وجيدة الى السيد بيسلى ، أتت ورقـة أنيقة بداخل مظروف من المحامى •• قال السيد بيسلى لزوجته :

ـ صدقى أو لا تصدقى يا عزيزتى ! •• لقد توفى قريب لى ، وورثت أربعمائة ألف دولار •

بتعجب ردت :

ـ ماذا ؟ ! •• أين ؟ •• دعنى أرى ، لا تحتفظ بالخطاب هكذا ، أعطنى اياه •

قالت ، وهو ينظر اليها :

ـ استمر ، اقرأ ، أدخل فى الموضوع ، هل تعتقد أن ذلك سيساعدك ؟ !•• بكت :

ـ آه •• لقد جعلك المـال فظا بالفعل •

رد بسرعة قائلا :

ـ نعم •• لقد ورثت أربعمائة ألف دولار ، أربعمائة ألف •

قـالت :

ـ سنكون قادرين على تملك شقة بنيويورك ، أو منزل صغير بميامى •

قال السيد بيسلى :

ـ بمكنك الحصـول على نصف المبلغ ، وربما يمكنك عمل ما تودين ، أما أنا فقد قررت السفر •

تلقت الملاحظة بامتعاض ، انها تملكه ، وهى لا تحب فقدان أى شىء تملكه ، دائما ترغب الاحتفاظ بالأشياء القديمة ، حتى عديمة الجدوى •

قالت ، وهى تبكى :

ـ اذن تود أن تفارقنى •

ارتفع صوت السيد بيسلى :

ـ أود أن أرى أماكن أخرى ، أماكن غير عادية . أماكن مختلفة ، قرأت عنها فى مجلة « عجائب العلم » مجلة (عجائب العلم) تقول : ان هناك أناس لهم رقاب طويلة ، أود أن أراهم ، أحب أن أرى الأقزام •• بعض الطيور الغريبة ، أريد أن أسافر الى « يوكتون » •• سأعطيك نصف المبلغ لأنى أعرف انك تحبين حياة المدن ، وتفضلين العيش فى المجتمعات الراقية ، لكننى أفضل السفر والترحال ، اذا كنت تودين مرافقتى تعالى •

لم تتردد كثيرا ، ردت بسرعة :

ـ سوف أفعل •

وأردفت :

ـ لا تنس اننى أفعل ذلك اكراما لك ، يجب أن أحافظ

عليــك بالشــكل الواجب ، وثق انك عنــدما تتعب من التعجب مما تفعل واحتفاظك بفمك مفتوحا ، سوف نشترى شــقة فى نيويورك ، أو منزلا صغيرا فى ميامى •

ذهبت مع زوجهــا السيد بيســلى ، وهى غاضبة وكارهة ذلك بشــدة ، ولكنهــا كانت على اســتعداد أن تفعل أى شىء لتسلبه ولو بعض السعادة •

* * *

أخذتهما الرحلة الى غابات غامضة عميقــة ، كانت جدران غرف نومهما ، والأسقف والأرضيات مصنوعة من الخشب غير المزخرف ، ولكن خارج النافذة كان هناك منظر جميل ، وكأنه لوحة فنية رسمتها ألوان الأزهار والأشجار المتناسقة ، تبدو رائعة الحسن فى ضوء الصباح المشرق بجبال الانديز العالية ، النافذة عبارة عن مربع من اللون الأزرق الوماض ، الذى يضىء أحيانا وينطفىء أحيانا ، وسحابة بيضــاء صغيرة تظهر فى جانب منخفض من المربع أثنــاء الجزر •• وفى اشراقــات الصــباح كان الســيد بيســلى وزوجتــه يأخذان مكانهمــا فى أكواخ فقيرة على شاطىء البحر •

كان المــد والجــزر يقــدما قربــان كل صــباح أمــام

كوخهما المتواضع ، يجدان القواقع والمحار على رمال الشاطىء ، فضلا عن مخلوقات وكائنات بحرية أخرى ، كان السيد بيسلى سعيدا بذلك سعادة بالغة ، ولكن زوجته كانت تفضل زجاجات النبيذ على القواقع ، ويتعجب من ذلك ، فقد كانت تحلم كل يوم بشقة بنيويورك ، أو تفكر فى تملك المنزل الصغير بميامى ، لقد دأبت أن تضايق زوجها لأنه احتفظ بالأموال بعيدا عن متناول يدها ، فعندما هبط طائر جميل على غصن أعلى رأس زوجها صرخت باكية بطريقة مزعجة ، ولذا حلق الطائر بعيدا قبل أن تتاح فرصة للسيد بيسلى أن يراه أو يتأمله ، كان يود أن يرى طائرا مثل هذا ، لكنها تحايلت ومنعته من تحقيق رغبته .

وحينما خططا لزيارة مبانى أثرية بمدينة « يوكتون » تخابثت وأخبرته بالوقت غير المناسب لبداية الرحلة ، وعندما كان يحاول مراقبة حيوان ممتع تتظاهر أن هناك شيئا ما بعينها ، وكان عليه طبعا أن ينظر فى عينها ، ويخرج ذلك الشىء المزعوم ، وعادة لا يجد شيئا ، وكذلك تعمدت أن تظل فى « بيونس ايرث » لفترة طويلة ، فشعرها يجب أن يصفف ، كانت فى حاجة الى أن تجعل شعرها متموجا بصفة دائمة ، وكذلك فى حاجة الى ملابس أفضل . وتود أن تذهب للفرجة

على سباق الخيل • وكان السيد بيسلى يوافق لأنه يحب أن يكون عادلا ، وخصوصا بعد حصوله وزوجته على غرف جميلة فى فندق مريح •

* * *

وذات يوم بينما كانت زوجتـه تتفرج على السباق قابل السيد بيسلى طبيبا برتغاليا نحيفا ، وسرعان ما آخذا يتحدثان معا بود وحميمية ، تناقشا فى موضـوع الكائنات الغريبة ، التى تعيش فى أمريكا الجنوبية •

قال الطبيب :

ـ عـدت توا من نهر الآمازون ، هناك البحيرات فظيعة ومدهشة ، فى احداها توجد مخلوقات وحيوانات غريبـة ، العلم لا يعرف عنهـا شـيئا حتى الآن ، لكن الهنود قد رأوها ، ضخمـة جدا ، وتعيش فى المـاء ، لها رقاب طويلة ، أسـنانها كالسـيوف •

كان السيد بيسلى مبتهجا للغاية ، صاح :

ـ يا له من وحش !

ثم دمعت عيناه فى سعادة •

قال الطبيب البرتغالى :

ــ نعم •• نعم •

وأردف :

ــ انه ممتع بالتأكيد •

قال السيد بيسلى باكيا :

ــ يجب أن أذهب هنــاك ، يجب أن أتحــدث وهــؤلاء الهنود ، لو كان هنــاك وحش فى البحــيرة فيجب أن أراه ، سترشــدنى الى الطريق ، هل أنت حر ؟ ، أقصــد هل لديك ما يشغلك حاليا ؟ ، هل يمكن أن تأتى معى ؟ •

تحت وطأة الحــاح السيد بيسلى وافق الطبيب البرتغالى، وبسرعة تم ترتيب كل شىء دون تأخير أو تراخ ، وحينمــا عادت زوجة السيد بيسلى من فرجة السباق فوجئت بالخطة الجديدة ، وخيم على قلبهــا حزن صامت ، لقد أخبراها ، انهم ســوف يبدأون رحلتهم بعد لحظـــات ، ووضــح الرجــلان لها أنهم ربما يقطنون بالقرب من بحيرة مجهولة ، وربمــا يقضــون أوقاتهم بين الهنود ، الحقيقة كانت زوجــة السيد بيسلى غير سعيدة بالمرة ، وكم كانت تحتقر هــذا الطبيب النحيف ، لكنه كان يرد بأدب على تعليقاتها القاســية ، فلم يكن هناك ما يقلقه، فســوف يعطى بسخاء ، مقــابل ما يقدمه للسيد بيســلى من

خدمات ، كانت الزوجة تجأر بالشكوى طوال الطريق فى النهر ، وراحت تؤكد لزوجها بانه لا يوجد وحش بالبحيرة ، ولمحت الى أن الطبيب ليس الا رجلا كاذبا ، وغير شريف برغم أن زوجها كان متضايقا ، ويعانى نفسيا من ملاحظاتها شاعرا بان الطبيب البرتغالى خجلان من شىء ما ، صوت زوجته كان حادا ومزعجا ، بالطبع كان لكل ذلك نتيجة واحدة ، هى أن كل الحيوانات كانت تسرع من أمامهم ، والسيد بيسلى لم ير شيئا من تلك الحيوانات سوى أرجلها الخلفية وهى تركض ، جميعها تركت النهر الكبير والصوت المزعج والضوضاء ، أختفت فى الغابات المظلمة خلف الأشجار الضخمة .

* * *

وصل الفريق الصغير الى البحيرة بعد بضعة أيام من السفر .

قالت السيدة ماريا لزوجها :

ــ كيف تعرف أن هذا هو المكان الصحيح ؟ .

لقد كانت تشاهد الطبيب البرتغالى ، الذى راح يتحدث الى بعض الهنود .

ألتفتت ماريا الى زوجها .. قالت :

ــ من المحتمل أن تكون أية بحيرة ، أنها ليست واحدة ذات طابع خــاص ، ماذا يقول هؤلاء الهنــود له ؟ ! ، انك لا تستطيع فهم أية كلمة ، انك على استعداد أن تصــدق أى شىء ، أليس كذلك ؟ •• لن ترى الوحش ، الأحمق وحده هو الذى يمكنه أن يصدق هذه القصة •

لم يرد الســيد بيســلى أى رد •• اســتمر الطبيب فى محادثاته مع الهنود •• لقد أعطوه بعض المعلومات والأخبــار النافعة الجيدة : أخبروه عن كوخ مصنوع من أشجار النخيــل والأعشاب بالقرب من البحيرة ، لم يستخدمه أحد •

وجــد الفريــق الكوخ بعد جهــد شــاق ، مكثوا فيه لعدة أيام •• كان الســيد بيسلى يراقب البحــيرة كل يوم ، لكنه لم ير الوحش قط ، فى الحقيقة لم ير شيئا على الاطــلاق ، زوجته كانت تشعر بالرضا لهذه النتيجــة ، وان كانت تنظر لها دائما بغضب •• وذات يوم خاطبت زوجها بقسوة وغلظة :

ــ لم أعد أحتمل هذه الحياة أكثر من ذلك ، كدت انفجر ، سمحت لك بان تسحبنى من مكان لآخر •• أحــاول ملاحظتــك والاعتنــاء بك ، ســافرت مئات الأميــال فى قوارب مكشوفة مع الهنــود •• أنت الآن تضــيع أمــوالك وتبددهــا على

رجل ماكر ، يريد فقط أن يخدعك ، سوف نغادر هذا المكان الى « بارا » صباحا •

ـ يمكنك الذهاب اذا أردت ، سوف أحرر لك شيكا بمائتى ألف دولار ، ربما أمكنك اقناع أحد الهنود أن يأخذك عبر النهر فى قارب ، ولكننى لن آتى معك •

قـالت :

ـ سوف ترى •

لم تكن تريد ترك زوجهـا ، فربمـا استطاع أن يستمتع بحياته بمفرده ، لقد حرر الشيك وأعطاها اياه •• راحت تتوعده بأنها ستتركه وحيدا ، ولكنها بقيت •

فى صباح اليوم التالى استيقظت مبكرا ، وخرجت من الكوخ ، لقد أرادت أن تتنـاول افطارها بمفردها •• راحت تمشى غاضـبة باتجـاه بعض الأشـجار ، كان فى نيتهـا أن تحصـل على بعض الفاكهـة الطازجـة •• لم تكن قـد ذهبت بعيدا عندما لاحظت أثرا على رمال الشاطىء ، كان الأثر يدل على قـدم ضخمـة تقترب من الميل اتساعا ، الأصـابع تبدو كأن لها أظلافا حادة قاسـية ، وأثر القدم التاليـة كانت على بعد عشر أقدام •• نظرت دون اهتمـام الى الآثار ، التى

تركهـا الوحش ، لم تتحرك أية مشـاعر فى نفسها أو عقلها ، فقد كانت غاضبة ، بل أشتد غضبهـا لأنها أدركت أن الطبيب البرتغالي لم يخبر زوجها الا بالحقيقة .. لم تبك منبهرة ، لم توقظ الرجلين ، ولكنهـا أطلقت ضحكة مريرة .. ثم التقطت غصنا صغيرا كان ملقى على الأرض ، ان آثار أقدام الوحش لم يرها أحـد بعد ـ هـكذا قـالت لنفسـها ـ وبواسـطة الغصن طمستها ، وحينما تم هـذا العمل على خير وجه ابتسمت بمرارة ، لقد أصبح الآن لا دليل على أثر ، ثم نظرت الى أثر القـدم الأخرى وأزالتها من فوق الرمـال ، وعلى البعد رأت أثر قدم أخرى ، وبعد ذلك واحدة أخرى طمستها أيضـا ، وواصلت طمسها لآثار الأقدام ممسكة الغصن بكلتا يديها .. وفى فترة وجيزة طمست كل أثر كان موجودا ، آخر أثر لقدم الوحش كان تقريبا بالمـاء ، لقد عاد الوحش الى البحيرة .

مسحت زوجة السيد بيسلى آخر أثر بارتياح وسعادة .. ثم وقفت وفردت طولهـا ، ونظـرت فى اتجـاه الكوخ .. قالت بضع كلمـات لزوجهـا ، الذى كان مازال يغط فى نومه هناك : « سوف أخبرك بهذا ، عندما نكون بعيدين عن هنا ، سـوف نعيش فى ميـامى ، وسـتكون عجوزا ، ولن ترى

أثر القدم ، ولا الوحش ، سوف تكون طاعنا فى السن ، ولا يمكنك عمل أى شىء » •

فى تلك اللحظة سمعت فجأة صوت الماء يعلو من خلفها لقد أمسكت بواسطة فكيه ، لقد وصف الطبيب هاتين الفكين وتلك الأسنان جيدا ، بالضبط كالسيوف ، وأشار الى تفاصيل أخرى مختلفة ، لم تكن هناك فرصة لاثبات الخطأ •• بعد أن بكت فى رعب لحظة قصيرة سحبت تحت الماء لم يكن نحيبها مسموعا ، فقد كان يصدر بصوت واهن ، لقد كانت تستخدم صوتها بشكل غير عادى خلال الأسابيع الماضية ، وكانت حقا مرهقة •

* * *

بعد فترة قصيرة استيقظ السيد بيسلى ، لاحظ غياب زوجته ، ذهب ليتحدث الى الطبيب ، وذكر له الحقيقة كاملة ، وبصراحة مطلقة ، ولكن الطبيب لم يكن منتبها لشىء ، واستأذن ليستأنف نومه •

خرج السيد بيسلى ليبحث عن زوجته •• نظر هنا وهناك ، ولكنه لم يجد شيئا ، رجع الى صديقه الطبيب البرتغالى :

ــ اعتقد أن زوجتى هربت •

ثم استطرد موضحا :

ـ لقد وجدت آثار أقدامهـا على الرمـال تتجـه نحو البحـيرة ، يبدو انها رأت أحد الهنود يمر فى قاربه ، وربمـا أخذها بعيدا عن هنا ، لقد كانت بالأمس تهدد أن تتركنا ، فهى تريد أن تمتلك شقة بنيويورك أو منزلا صغيرا فى مبامى •

علق صديقه :

ـ هذا ليس بالمكان السيىء •

ثم استطرد قائلا :

ـ لكن ربما « بيونس ايرث » أفضل من هنا ، هـذا الوحش الهائل شىء مخيب للأمل يا صـديقى العزيز ، دعنـا نرجع ثانية الى « بيونس ايرث » ، سوف أريك بعض الأشياء ، التى ستفاجئك ، أشياء مختلفة تماما عن أى شىء هنا • قـال السيد بيسلى :

ـ انك حقا رفيق جيد ، أنت تجعل الحيـاة المملة فى المدن جذابة وشيقة •

قال الطبيب :

ـ اذا كنت قد مللت حيـاة المدن ، يمكنك الترحـال أعرف بعض الجزر الجميلة ، تلك التى يقطنهـا أناس رائعون ، يمكننا زيارتهم بعد أن نغادر المدن •

العمـــــلاق

للأديب الأيرلندى : أوســكار وايــلد

The Seleish Giant

Oscar Wilde

● **عن المؤلف :**

ولد أوسكار وايلد : عام ١٨٥٤ فى دبلن بأيرلندا ، وكان أبوه طبيبا جراحا تلقى تعليمه فى كلية ترينيتى (الثالوث) بدبلن ، ثم فى كليـــة ماجدلن باكسفورد .

وقد بدأ نشاطه الأدبى بكتاب « قصائد شعرية » عـــام ١٨٨١ ، وفى عـــام ١٨٨٢ ســـافر ليحـــاضر فى أمريكا ، وبعد زواجه من كونستانس لويد عام ١٨٨٤ نشر سلسلة من قصص الأطفال ، ثم تبعها بكتـــاب « صورة دوريان جراى » عام ١٨٩١ م .

وقد لمع أوسكار وايلد حينما صدر له « مروحة السيدة وندرمير » عام ١٨٩٢ م ، وقد تبعها بثلاثـــة

أعمال : « سيدة غير مهمة » فى العام التالى ـ ١٨٩٣ ـ، ثم فى عام ١٨٩٥ « زوج مثالى » ، ثم « أهمية أن تكون أرنست » . . وقد رفض التصريح له بنشر « سالومى » فى انجلترا ، ولكنها نشرت فى فرنسا عام ١٨٩٣ م .

وعندما تعرض أوسكار وايلد للحبس عامين اشغال شاقة لخلافه مع « ماركيز أوف كوينسبارى » كتب قصة ، وبعد اطلاق سراحه وافلاسه عام ١٨٩٧ رحل الى باريس حيث اقام هناك حتى وفاته عام ١٩٠٠ م .

اعتاد الأطفال عند عودتهم من المدرسة ، عصر كل يوم أن يذهبوا ، ويلعبوا فى حديقة العملاق .

حديقـة واسـعة ، مكسـوة بعشب أخضر ناعم ، وقـد تناثرت الزهور الجميلة فوق الأعشـاب هنـا وهنـاك ، توجد أثنتا عشرة شجرة من أشجار الخوخ ، تتفتح فى الربيـع زهرات النبت الوردية اللون ، وكأنها اللؤلؤ المنثور ، فى الخريف تحمل الفواكة الغنيـة ، وقفت الطيور على الأشـجار تغرد بعذوبـة

أخاذة ، مما أغرى الأطفال أن يتركوا لعبهم ، حتى ينصتوا جيدا .. ثم صاح بعضهم للبعض : « ما أعظم سعادتنا هنا » .

وذات يوم عاد العملاق ، كان يتحتم عليه أن يزور صديقه الغول المخيف ، بعد أن مكث عنده حوالى سبع سنوات، باح بكل ما كان يريد أن يقوله ، أرغم على انهاء حديثه ، وصمم أن يعود الى قلعته .. وحينما وصل ورأى الأطفال يلعبون فى الحديقة ، صاح صيحة مروعة : «ماذا تفعلون هنا ؟ ! » حتى هرب الأطفال .. قال العملاق : « حديقتى ، يعنى حديقتى . وفى وسع كل واحد أن يفهم ذلك ، لن أسمح لأحد أن يمرح فيها سواى . » ، ولذلك بنى سورا عاليا حول الحديقة ، وعلق عليه لافتة تحذير : « من ينتهك الحرمات يعاقب . » ، لقد كان العملاق شديد الأنانية بالفعل .

أصبح الأطفال المساكين لا مكان لهم ، يمارسون فيه لعبهم .. حاولوا اللعب على قارعة الطريق ، ولكنه كان متربا وعرا مملوءا بالحجارة .. لم يحبوه ، اعتادوا عند انتهاء يومهم الدراسى أن يتجولوا حول سور الحديقة العالى ، ويتحدثوا عن روعة وجمال الحديقة فى شجن .. قال كل منهم للآخر : « هناك بالداخل ، كم كنا سعداء » ...

عندما أتى فصل الربيع ، وكسا أرجاء المنطقة بالزهور الصغيرة ، ظل الشتاء مخيما على حديقة العملاق الأنانى ، ولم تعد الطيور تحفل بالغناء فى تلك الحديقة ، لأنها خلت من الأطفال ، والأشجار تجردت من الزهور •• ذات مرة أطلت زهرة جميلة برأسها ، من بين الأعشاب ، ولكنها عندما رأت اللافتة ، أسفت أسفا شديدا ، وتراجعت ثانية الى الأرض ، الكائنات الوحيدة ، التى شعرت بالسعادة فعلا ، هى الجليد والصقيع ، وصاحا : « لقد هجر الربيع هذه الحديقة ، ولذلك فاننا سنعيش هنا على مدار فصول السنة » ، وألقى الجليد رداءه الأبيض الواسع على العشب ، وصبغ الأشجار باللون الفضى ، وعندئذ دعوا رياح الشمال لتقيم معهما فاستجابت ، ومن ثم فقد التحفت الحديقة برداء أبيض كالثلج ، وراحت الرياح الشمالية تزأر طوال اليوم حول الحديقة ، أحاطت بمنافذ المداخن ، وألقت بها الى أرض هذه المنطقة الجميلة ، ويجب أن تستضيف البرد ، وها هو ذا قد لبى الدعوة شاكرا لمدة ثلاث ساعات يوميا ، يصعد فوق سطح القلعة ، حتى حطم سور الحديقة ، يلتف التفافا سريعا مذهلا حول الحديقة ، وقد ارتدى رداء رماديا ، كما لو كان يتنفس الثلج •

تعجب العملاق الأنانى قائلا :

ـ « ليتنى أفهم لماذا تأخر الربيع » ؟ !

وبينما كان يجلس على النافذة متطلعا الى حديقته الباردة البيضاء أردف :

ـ « آمل أن يحدث تغير فى الطقس ، لم يأت الربيع ولا حتى الصيف ! » .

لقد منح الخريف كل الحدائق الفواكه الذهبية ، لكنه بخل على حديقة العملاق ، ولم يعطها شيئا ، وقال الخريف : انه أنانى ، لذلك فقد عم الشتاء هناك بشكل دائم ، وأيضا البرد والصقيع ، ورياح الشمال التى راحت تتراقص فوق أغصان الأشجار .

ذات صباح ، بينما كان العملاق الأنانى مسترخيا على سريره ، تسللت الى مسامعه بعض الموسيقى فأحدثت نغما عذبا تردد فى أذنيه ، وظن أن فرقة الموسيقى الملكية تمر من أمام حديقته ، لكن الحقيقة كان هناك طائر صغير يشقشق بجوار نافذته ، مضت فترة طويلة ، لم يسمع طائرا يغنى ، وبدت له أجمل موسيقى فى العالم .. عندئذ توقف البرد عن التساقط فوق رأسه ، وسرعان ما صمت هدير الرياح ، وعبق العطر منعشا خلال نافذته المفتوحة ، قال العملاق : « أعتقد أن الربيع قد جاء أخيرا ، قفز من فراشه ، ونظر للخارج ، فماذا

رأى ؟ لقد رأى منظرا عجيبا ، فقد تسلل الأطفال من فتحة صغيرة فى جدار السور ، وجلسوا تحت الأشجار ، كان بوسع العملاق أن يرى الأطفال بجانب كل شجرة ، بدت الأشجار فى غاية السعادة ، حتى كست نفسها بالبراعم الصغيرة ، وهزت أغصانها برقة فوق رءوس الأطفال ، وراحت الزهور تشرئب من خلال العشب الأخضر ضاحكة ، لقد كان بحق مشهدا رائعا ، فيما عدا طرفا واحدا من الحديقة ، كان مازال يعانى من برودة الشتاء ، ذلك الجانب الأقصى من الحديقة ، اذ كان يجلس هناك طفل صغير ، وكان صغيرا صغيرا ، بحيث لم يستطع أن يلمس أغصان الشجرة ، يدور حولها صارخا بحرارة ، والشجرة البائسة كانت لاتزال مغطاة بالصقيع والثلوج ، ورياح الشمال تزأر فوقها ، قالت الشجرة : « تسلق أيها الولد الصغير • » ، وأمالت أغصانها الى أسفل بقدر ما استطاعت ، ولكن الطفل كان ضئيلا للغاية •

رق قلب العملاق عندما وقع نظره على الحديقة ، قال : « كم كنت أنانيا ، والآن عرفت جيدا لماذا لم يأت الربيع ؟ » سوف أضع الولد الصغير على قمة الشجرة ، وسأهدم السور ، ومن الآن ستكون حديقتى للأطفال يلعبون فيها للأبد ، وكان بحق آسفا ونادما •• تسلل الى الطابق السفلى ،

وفتح البـاب الأمامى ، وبمنتهى الهـدوء والرقـة أنسـاب الى الحديقة ، وعندما رآه الأطفال فروا فازعين ، فعاد الشتاء الى الحديقـة مرة أخرى ، ولكن كان هناك طفل صغير يقف وحده ، وعيناه مملوءتان بالدموع ، حتى أنه لم يلحظ قدوم العملاق •• بخطوات حذرة وصل العملاق الى جوار الطفل ، أخذه من يده برفق ، ورفعـه فوق الشجرة ، وفى التو تبدلت الشجر فاكتست بالزهور ، ووقفت فوقهـا الطيور تغرد ، مد الطفـل الصـغير ذراعيـه بعفوية ، وطوق بهما رقبة العملاق ، وقبله •• وحينما شاهد الأطفال الآخرون أن العملاق لم يكن شريرا أو غاضبا ، عـادوا الى الحديقة يمرحون ، وبقدومهم أتى الربيـع ، قـال العمـلاق للأطفـال : « انها حديقتكم من الآن • » ، وأخذ فأسا كبيرة ، وراح يقوض السـور ، وعندما خرج النـاس بعد القيلولة ، وجدوا العمـلاق يلعب والأطفال فى أجمل حديقة ، وقعت عليها أنظارهم •

لعب الأطفـال طوال اليوم ، وفى المسـاء حينمـا ذهبوا الى العملاق كى يلقوا عليـه تحية المساء ، سألهم : « •• ولكن أين صاحبكم الصغير ، ذلك الصبى الذى وضعته فوق قمـة الشجرة ؟ • » •• فقد أحبه العملاق حبا جما ، لأنه عانقه وقبله ، ولم يخف منه ، فأجاب الأطفال : « لا نعرف •• لقد رحـل • » ،

فقال العملاق : « يجب عليكم أن تطمئنوه ، وتؤكدوا عليه أن يأتى معكم غدا » ، ولكن الأطفال قرروا : « انهم لا يعرفون سكنه ، ولم يسبق لهم رؤيته ، فأحس العملاق بحزن شديد .

عصر كل يوم بعد انتهاء اليوم الدراسى ، كان الأطفال يأتون ليلعبوا والعملاق ، ولكن الطفل الذى تعلق به العملاق لم يأت ، ولم يره ثانية .. كان العملاق رحيما بكل الأطفال ، ولكنه تشوق الى صديقه الأول ، ذلك الطفل الصغير ، وأعتاد أن يقول أمام الأطفال : « ما أشد شوقى اليه » .

مرت السنون ، وصار العملاق رجلا عجوزا ، لم يستطع أن يلعب على الاطلاق ، كان يجلس على أريكة ضخمة يشاهد الأطفال وهم يمارسون لعبهم ، وأعجب بحديقته وردد — فى نفسه — : « عندى أزهار جميلة ، ولكن أجمل هذه الأزهار الأطفال » .

وذات صباح شتائى أطل العملاق من نافذته ، وهو يرتدى ثيابه ، لم يعد كارها للشتاء ، الآن قد عرف أن الربيع كان نائما فقط ، والأزهار فى فترة راحة .. فرك عينيه عاود النظر مندهشا ، ينظر وينظر ، فقد كان — بالتأكيد —

منظرا رائعــا ، فى ذلك الطرف الأقصى من الحديقــة ، الشجرة الهادئــة غطت نفســـها بزهــور بيضـــاء جذابــة ، ذات أغصـــان ذهبيــة ، وفــواكه ناضجــة ، وتحتهـــا وقف الطفــل ، الذى أحبــه ، انطــلق العمــلاق نحوه فى فرحــة غامرة ، يقفز فوق العشب بسرعة ، حتى وصــل ، ووقف بالقرب من الطفــل ، وعندما اقترب منه أكثر احمر وجهــه ، وقــال غاضبا : « من الذى تجرأ وجرحك ؟ ! » ، فعلى كفيه توجد علامات وآثار لمسمارين ، وكذلك قدميه الصغيرتين ، وعــاد العملاق يكرر : « من الذى تجرأ وجرحك ، قل لى ربما أخذت سيفى وقتلته » •

فقال الطفل الصغير : « لا أحد ، ولكنه جرح الحب » • صرخ العملاق : « من أنت » ، وقد دبت فى نفسه رجفة غريبة ، جثا على ركبتيه أمام الطفل الصغير ، فابتسم الطفل ، وقــال : « لقد تركتنى ألعب فى حديقتــك ، ذات مرة ، واليوم ســتأتى معى الى حديقتى الفردوس » •

وعندما عــاد الأطفال بعد القيلولة ، وجدوا العمــلاق قد سقط ميتــا تحت الأشجــار ، وقد كسيت كلهــا بالزهــور البيضــاء •

الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع ١٥٧٩/١٩٩٤

الترقيم الدولى I.S.B.N.977—01—3646—8

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب